الزِّيَادِيّ

وأثره في الدراسات النحوية واللغوية

بقلم الأستاذ الدكتور

فؤاد علي مخيمر

أستاذ اللغويات المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان
والصلاة والسلام على سيد الأنام سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أزكى الصلاة والسلام

أما بعـــد :

فلقد طوى الزمان صفحات قوم من فحول العلماء الذين قدموا خدمات جليلة فى محيط العلوم العربية عامة والنحو واللغة خاصة ، حيث اندثرت مؤلفاتهم ، ولم يبق من جهودهم إلا آراؤهم المبثوثة فى كتب النحو واللغة والأدب ، وترجمة مختصرة عنهم فى بعض كتب التراجم ، أشار فيها أصحاب هذه الكتب إلى مؤلفاتهم ، وما استطاعوا جمعه من أخبارهم .

أبرز وجودهم فى مصاف النحاة أو اللغويين ما أثبته عنهم بعض الثقات من آراء مبثوثة فى كتبهم .

ولا يعد ذلك من باب التقصير فى حقهم إلا فيما يتصل بجانب الحفاظ على مؤلفاتهم ، ذلك ، لأن المتقدمين والمتأخرين منهم شغلوا أنفسهم فيما هو أهم من ذلك ، وهو التأليف والشرح والتعليق ووضع الحواشى خدمة للعلم ، وتيسيراً على طلابه ، ليقدموا شيئاً إلى العصور التى تليهم ، وهذا ما نعيش على ضوئه ، ونشكر الله ـ تبارك وتعالى ـ الذى قيضهم لهذا العمل ، وأعانهم ووفقهم لأداء هذه المهمة التى قد يعجز عن أدائها كثير من المعاصرين لظروف

الحياة والطبيعة التى يعيشون فيها ، كما نشكر للسابقين هذا الجهد الماضى الذى قدموه إلينا ، فكان نفعاً لنا وأثراً صالحاً لهم فى الدنيا والآخرة .

ومع ذلك أشعر فى نفسى بتقصير أبناء هذا العصر تجاه هؤلاء الأفذاذ ، فرأيت من واجبى أن أقوم برفع الستار عمن أجد له بعض الآراء المبثوثة فى كتب النحاة ، وبخاصة المتقدمون منهم ، المعاصرون لسيبويه وأئمة النحو واللغة فأضعه أمام مرآة عاكسة للضوء ليراه القاصى والدانى ، وأستنطق الزمان ـ إن صح هذا التعبير ـ معالم هؤلاء الفحول ، وذلك وفاء لبعض الحق الذى فى أعناقنا لهم ، من باب وفاء التلميذ بحق أساتذته عليه .

هذا وقد أوقفت بحثى هذا للتعبير عن هذا الوفاء لعالم من علماء النحو واللغة المتقدمين ألا وهو (أبو إسحق الزيادى) المتوفى سنة ٢٤٩ هـ .

وقد جعلت هذا البحث فى أربعة فصول وخاتمة .

فمن الله العون ، وإليـــه القصد

د . فؤاد على مخيمر

الفصل الأول

أبو إسحق الزيادى

اسمه :

إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه ، النحوى ، اللغوى ، الراوية[1] .

كنيته :

أبو إسحق[2] .

نسبته :

الزيادى . ينسب إلى زياد بن أبيه ، لأنه يعد من أحفاده[3] .

مولده ونشأته :

كتب التراجم لم تتعرض لتاريخ مولده ، ولا لموطنه الذى نشأ فيه . . ولكن القرائن التى تحيط به تدفعنى إلى تغليب ظنى أنه ولد ونشأ فى بيئة النحو والنحاة فى بلاد العراق ، ويترجح ظنى أن مولده ونشأته فى البصرة ؛ ذلك لأنه يعد من تلاميذ سيبويه والأصمعى ، وعنه أخذ المبرد وغيره من نحاة البصرة.

---

(١) انظر ترجمته فى إنباه الرواة على أنباه النحاة ١ : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٥٨ - ١٦١ والأعلام ١ : ٤٠ . وأخبار النحويين : ٨٨ . ونزهة الألبا ٢٦٩ . والفهرست : ٨٦ - وإرشاد الأديب ١ : ٦٢ . ومعجم المؤلفين ١ : ٣٤ ، ٣٥ . وإيضاح المكنون ٢ : ٢٦٧ . والوافى بالوفيات ٥ : ٣٥٦ . وبغية الوعاة ١ : ٤١٤ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) المصادر السابقة ، والمزهر للسيوطى ٢ : ٤٤٥ .

كما أنه يعد من رواة الشعر واللغة ، وله باع طويل فى معرفة كثير من الذين اشتغلوا بهذا الفن .. ولا شك أن المشتغلين بهذا اللون كانوا يعيشون فى بيئة الشعر والشعراء حيث موطن النحو والنحاة ، لأن اهتمام هذه البيئة بالشعر فى هذه الحقبة من الزمان ، كان لغرض ضبط اللغة وتقنين قواعد النحو وأصوله ..

من أجل ذلك يترجح ظنى أن بيئته التى نشأ فيها ، وفيها تلقى ثقافته ، هى البصرة ، ولذلك ذكره السيرافى بين نحاة البصرة فى كتابه أخبار البصريين.

كما أستطيع القول : بأن معاصرته لسيبويه المتوفى سنة ١٨٨ هـ ، وأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ ، والأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ ، وغيرهم من النحاة واللغويين يرجح ظنى أن مولده كان فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، ويؤكد ذلك أنه قرأ على سيبويه الكتاب وإن لم يكن قد أتمه ـ فقراءة مثل هذا الكتاب لا يكون إلا مع نضج فكرى لأن كتاب سيبويه لا يستوعبه إلا أصحاب القرائح الناضجة[1] .

شيوخه :

تتلمذ الزبيدى على كثير من فحول النحو واللغة . من أبرزهم :

١ ـ سيبويه : المتوفى سنة ١٨٨ هـ ، أجمعت كتب التراجم أنه قرأ الكتاب على سيبويه ولم يتمه ، كما أن اهتمامه بشرح نكت سيبويه فى كتاب صنفه لهذا الغرض ، يؤكد أنه قد استوعب الكتاب ، وهذا لا يكون إلا من تلميذ نابغ أخذ النحو من منبعه الأول[2] .

---

(١) يمكن أن نهتدى إلى مولده ونشأته من بعض القرائن التى ذكرت فى المصادر السابقة ، وانظر أخبار البصريين : ٦٧ .

(٢) انظر المصادر السابقة .

٢ ــ أبو عبيدة : المتوفى سنة ٢٠٩ هـ . قال السيوطى فى البغية : روى الزيادى عن أبى عبيدة والأصمعى[١] . ومثل ذلك قال ياقوت فى معجم الأدباء . وزاد قوله : (ونظرائهما[٢]) . وقال القفطى : قرأ على الأصمعى وعلى غيره[٣] .

وبذلك يتبين أن الزيادى شيوخا غير الأصمعى مثل أبى عبيدة

٣ ــ الأصمعى : المتوفى ٢١٦ هـ . قرر كثير من أصحاب كتب التراجم تلقى الزيادى عن شيخه الأصمعى ، فقد ذكر كارل بروكلمان أن الزيادى من تلاميذ الأصمعى فقال : أن له ـ أى الأصمعى ـ تلاميذ آخرين لم يبق لنا من مصنفاتهم شىء ، منهم أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الزيادى المتوفى سنة (٢٤٨ ـ ٨٦٣ م[٤]) .

وقال القفطى : كان يشبه بالأصمعى فى معرفته للشعر ومعانيه ، وقرأ على الأصمعى وغيره ، وذكر عن الزيادى أنه قال : قرأت على الأصمعى هذا البيت :

أغنيت شأن فأغنوا اليوم شأنكم
واستحمقوا فى مراسى الحرب أو كيسوا

فصحف فقلت : أغنيت شأن . فقال الأصمعى : فأغنوا اليوم تيسكم[٥] .

وقال محمد بن النديم : قرأ على الأصمعى وغيره من العلماء[٦] .

---

(١) انظر بغية الوعاة ١ : ٤١٤ .
(٢) ١ : ١٥٨ .
(٣) إنباه الرواة ١ : ٢٠١ .
(٤) تاريخ الأدب العربى ٢ .
(٥) إنباه الرواة ١ : ٢٠١ .
(٦) الفهرست : ٨٦ .

وقال المبرد : حدثني الزيادي . قال : سمعت الأصمعي ، وسئل بحضرتي أو سألته عن قوله : (أشراطية[1]) .

إلى غير ذلك من الأقوال التي سبق الإشارة إليها آنفا عند الكلام على أبي عبيدة . وهذه الأقوال تؤكد تلمذة الزيادي على يدي أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما .

٤ — زيد بن كثوة : ذكر في أخبار البصريين ، ونزهة الألبا : أن الزيادي سمع من زيد بن كثوة[2] .

وقال ابن قتيبة : قال الزيادي : كان زيد بن كثوة العنبري يقول : الناس يغلطون في لفظ هذا البيت ومعناه[3] .. إلخ . والبيت مذكور في موضعه من هذا البحث .

هؤلاء هم أبرز شيوخ الزيادي الذي سمع منهم ، وروى عنهم ، وقرأ عليهم وتلقى على أيديهم النحو واللغة . . وهناك شيوخ آخرون أخذ عنهم إلا أن كتب التراجم لم تصرح بهم .

ومن ثم يتبين أن الزيادي أخذ النحو عن سيبويه ، واللغة ورواية الشعر عن أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما كأبي زيد الأنصاري ، نفعنا الله بعلمهم .

تلامذته :

إن الأمر الذي لامرية فيه أن هؤلاء الأفذاذ كما تأثروا بغيرهم فلابد أن يؤثروا فيمن جاءوا بعدهم ، وبخاصة المعاصرون منهم ، ذلك ؛ لأن عصرهم كان يعد عصر النبوغ في العلم في شتى فروع المعرفة وبخاصة علم النحو واللغة ، فقد تلقى على الزيادي تلامذة كثيرون أبرزهم :

(١) الكامل ٣ : ٣٦ .
(٢) انظر أخبار البصريين : ٦٧ ، ونزهة الألبا : ٢٦٩ .
(٣) تأويل مشكل القرآن : ٩٦ .

١ ـ محمد بن يزيد المبرد : (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) والذى يوثق تلقيه عن الزيادى ما يلى :

(ا) استدل القفطى عند ترجمته للزيادى بما قاله أبو العباس المبرد حيث قال : ـ أى : المبرد ـ : هو أبو إسحق إبراهيم بن سليمان بن سلم بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه[1] . ـ هكذا ترجم له المبرد ـ وفى ذلك دليل على قربه منه وتلقيه عنه .

(ب) ذكر الشيخ عضيمة فى ترجمته للمبرد فى مقدمة المقتضب : أن الزيادى من شيوخ المبرد ، وان المبرد ذكر عنـــه روايات ، كما تردد اسمه فى الكامل[2] .

(جـ) قال ياقوت : حدث المرزبانى عن المبرد عن الزيادى ، قال : كان فى جوارى حق قد دعيت إليه ، فحضرت وجىء بنبيذ وطنبور فغنى مغنيهم وأنشد شعرا[3] ـ سأذكره فى موضعه إن شاء الله .

(د) ما رواه المبرد فى كتابه (الكامل) من الشعر عن الزيادى يدل على تلمذته عليه . يقول المبرد : فإن هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادى . . . وأنشد الأبيات[4] .

يقول : أنشد فى الزيادى . قال : أنشدنى أبو زيد[5] .

ويقول : وحدثنى أبو عثمان المازنى . قال : حدثنى الزيادى . . .[6]

---

(١) إنباه الرواة ١ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٢) مقدمة المقتضب ١ : ٢٦ .
(٣) معجم الأدباء ١ : ١٥٨ .
(٤) الكامل ١ : ٤٠ .
(٥) المصدر السابق ١ : ٣١٢ .
(٦) المصدر السابق ١ : ٣١٨ .

ويقول : حدثني الزيادي إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال[1] :

وقال محمد بن إسحق النديم : أخذ الزيادي عن الأصمعي وغيره من العلماء ، وعنه المبرد[2] .

إلى غير ذلك من الأقوال التي تؤكد تلقي المبرد عن الزيادي ، وتلمذته عليه .. ويكفي الزيادي فخراً أن يكون له تلميذ كالمبرد في نحوه ولغته .. ولكن ما يبدو لي أن تلقيه في الجانب اللغوي والرواية هو أبرز ما أخذه المبرد عن شيخه الزيادي .

٢ ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ)

ذكر صاحب وفيات الأعيان : أن ابن قتيبة سكن بغداد ، وحدث بها عن إسحق بن راهويه ، وأبي إسحق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادي[3] .

هذا ، وقد نقل ابن قتيبة عن الزيادي كثيراً من أقواله بالسماع أو الرواية، وسأذكر هذه الأقوال ـ إن شاء الله ـ في موضعها في الفصل الثالث من هذا البحث .

مذهبه النحوي :

لاشك أن تلقيه عن سيبويه إمام مذهب البصريين . . وقراءة الكتاب على سيبويه ، وإن لم يتمه ، فقد يكون ذلك لمرض ، أو سفر ، أو موت ،

---

(١) المصدر السابق ١ : ٣٤٣ .

(٢) الفهرست : ٨٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٣ / ٤٢ ، ٤٣ .

أو لضرورة أيا كانت ، فذلك لم ينقص من قدره ، وإنما يؤكد بصريته نحويا ، ويؤيد ذلك ما يلى :

١ — ذكره السيرافى فى كتابه أخبار البصريين[1] .

٢ — نص الأشمونى فى شرحه على أن الزيادى من البصريين حيث قال : (واعلم أن ما ذكره الناظم من أن إعراب هذه الأسماء - يعنى الأسماء الستة - بالحروف هو مذهب طائفة من النحويين . منهم : الزجاجى وقطرب والزيادى من البصريين[2] . ومثل ذلك ذكر أبو حيان فى الارتشاف[3] ، والسيوطى فى الهمع[4] .

٣ — اتباعه لمذهب البصريين عند توجيه آرائه . . وذلك من غير تعصب ، ويبدو ذلك واضحا فى مخالفته لسيبويه فى بعض آرائه .

مكانته العلمية :

أولا : فى النحو : يعد أبو إسحق الزيادى من النحاة الأول الذين أسهموا فى وضع اللبنات الأولى لعلم النحو ، فقد عاصر سيبويه وتلقى عنه ، وسمع منه ، وقرأ عليه ، ونقل عنه ، وشرح نكته فى الكتاب ، كما صنف كتابا آخر فى النقط والشكل ، ومثل هذا الكتاب لاشك أنه يخدم علم النحو وبخاصة ما يتصل بالجانب الإعرابى .

هذا ، وإن لم يكن له كتاب صريح فى جميع أبواب النحو ، فإنما يرجع ذلك إلى أن كتاب سيبويه كان يحب كل ما يؤلف فى عصره لشمول الكتاب

---

(١) أخبار البصريين : ٦٧ .
(٢) شرح الأشمونى ١ : ٧٤ .
(٣) ١ : ٢٦٤ .
(٤) جمع الجوامع ١ : ١٢٣ .

لكل ما يمكن أن يقال فى علم النحو ، وكذلك فإن حياء التلميذ من أستاذه كان يمنع الزبادى من أن يكتب كتابا فى النحو بجوار كتاب سيبويه .

ومع ذلك فقد شغل الزبادى نفسه فى تحصيل الشعر وروايته ، وفى جمع اللغة والمساهمة فى ضبطها ، ليقدم للنحو والنحاة الشواهد المضبوطة والمحكمة سماعا عن العرب وأئمة اللغة .

ويبدو أثر ذلك فيمن تتلمذ عليه من النحاة كالمبرد ، واللغويين كابن قتيبة، وما نقله كثير من النحاة واللغويين عنه فى كتبهم خير دليـــل على أصالته فى هذا الميدان .

ثانياً : فى اللغة : إن ما نقل عنه ، ومارواه عن أئمة اللغة ، وما سمعه عنهم، وبخاصة الأعلام الأول كأبى عبيدة وأبى زيد والأصمعى وغيرهم ، يدل دلالة قاطعة على ثقة أهل اللغة فى روايته وأمانته ، وطول باعه فى هذا الميدان ، الأمر الذى دفع كثيراً من النحاة واللغويين أن يعتدوا برأيه وروايته وينقلوا عنه حسبما سأوضح ذلك فى الفصلين الثانى والثالث من هذا البحث إن شاء الله .

كما أن سعة اطلاعه ، ومقدرته العلمية دفعت كثيراً من المشتغلين باللغة فى عصره أن يسألوه عن مسائل دقيقة فى اللغة ، وبخاصة ما يشكل منها عليهم لتفتهم فيه .. وكتابه فى الأمثال خير دليل على ذلك .

ثالثاً : فى الشعر : كان الزبادى شاعراً مفوها ، وشهد له العلماء بذلك[1] . وسأذكر له جانبا من شعره فى الفصل الرابع من هذا البحث - إن شاء الله .

رابعاً : فى مجالات أخرى : كان عنده ثقافات أخرى فى مجالات متعددة.

---

(١) راجع الكتب التى ترجمت له .

منها : علمه بالأخبار ، وقد ألف كتابا أسماه (تنميق الأخبار) .

كما كان له علم بالسحاب والأمطار والرياح ، وهو ما نسميه فى عصرنا (علم الأرصاد الجوى) الذى يحدد المناخ ، وقد ألف فى ذلك كتابا .

شهادة العلماء له :

شهد له علماء عصره بالبراعة وطول الباع فى النحو واللغة والشعر ، من ذلك:

حدث المرزبانى قال : كان الزبادى يشبه بالأصمعى فى معرفته للشعر ومعانيه ، وكان فيه دعابة ومزاح[1] . ومثل ذلك القول ذكر السيوطى[2] .

وقال ياقوت : كان نحويا لغويا راوية ، وكان يشبه بالأصمعى فى معرفته الشعر ومعانيه ، وكان شاعراً ذا دعابة ومزاح[3] .

وقال ابن السكيت : قال الحسن : الزبادى نسيج وحده[4] . الذى ينفرد برأيه ، ولا يكاد يخطىء . وهو مدح من مدائح الرجال .

قال ثعلب : نسيج وحده : هو الذى لا يعمل على مثاله مثله . يضرب مثلا لمن بولغ فى مدحه ، نحو : فلان واحد عصره[5] .

مؤلفاته :

صنف أبو إسحق الزبادى مؤلفات فى النحو واللغة والأخبار ، وبعض المعارف الأخرى ، ولم أقف على شىء منها ، ويبدو أنها فقدت فى أيام

---

(١) معجم الأدباء ١ : ١٦٠ .
(٢) بغية الوعاة ١ : ٤١٤ .
(٣) معجم الأدباء ١ : ١٥٨ وبغية الوعاة ١ : ٤١٤ .
(٤) إنباه الرواة ١ : ٢٠٢ .
(٥) انظر هامش إنباه الرواة ١ : ٢٠٢ .

الزحف التتارى . وقد أكد ذلك كارل بروكلمان ، حيث ذكر الزبادى من تلاميذ الأصمعى ، فقال : وأن له ـ أى : الأصمعى ـ تلاميذ آخرين ، لم يبق لنا شيء من مصنفاتهم . منهم : أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الزبادى المتوفى سنة (٢٤٩ هـ - ٨٦٣ م)[1] .

ومع ذلك فإن العصر الذى ألف فيه الزبادى مصنفاته يدلنا على قيمة هذه المؤلفات ، وغزارة مادتها العلمية ودقتها ، لأنها صنفت فى وقت بلغ العلم والتأليف فيه ذروته ، وكان النقد يوجه إلى كل قصور يقع فى أى مصنف نظراً لنبوغ العقول ، ودقتها فى التأليف .

كما أن نسبة هذه الكتب إلى الزبادى تدل على وجودها وتمكينها فى ميدان الحياة العلمية ... وهاك بيانها[2] :

أولا : فى النحو :

١ ـ شرح نكت الكتاب لسيبويه[3] .

٢ ـ كتاب النقط والشكل[4] .

ثانياً : فى اللغة :

ـ صنف كتاب الأمثال[5] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى ٢ : ١٦٣ .

(٢) انظر كتب التراجم السابق الإشارة إليها فى الهوامش ، فقد أجمعت على نسبة هذه الكتب إلى الزبادى .

(٣) كشف الظنون ٢ : ١٤٢٧ .

(٤) المصدر السابق ٢ : ١٤٦٧ .

(٥) المصدر السابق ١ : ١٦٧ .

ثالثاً : فى الأخبار :

— له كتاب تنميق الأخبار[1] .

رابعاً : فى الأحوال الطبيعية :

— له كتاب أسماء (السحاب والرياح والأمطار[2]) .

هذا فضلا عما نقل عنه سماعا أو رواية فى كتب النحو والأدب واللغة والشعر .

وفاته :

أجمعت الكتب التى ترجمت للزيادى أنه توفى سنة تسع وأربعين ومائتين من هجرة من له العز والشفاعة ـ ﷺ ـ وقد ذكر صاحب الوافى بالوفيات أنه توفى سنة ٢٤٩ هـ فى أيام المستعين[3] عليه سحائب الرحمة والمغفرة .

العصر العباسى الثانى فى سطور :

أدى ضعف خلفاء العصر الأول العباسى ، إلى بداية عصر جديد له سمة التسلط من عنصر غير عربى وهم الأتراك ، وقد أطلق عليه بعض المؤرخين العصر التركى ، وهذه هوية ثالثة دخلت ساحة الخلافة الإسلامية .

بدأ هذا العصر بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ، وانتهى بظهور الدولة البوهية سنة ٣٣٤ هـ .

ولقد اهتم الخليفة المعتصم بالأتراك ، فقدمهم على غيرهم وولاهم مناصب قيادية حتى أدى الأمر إلى استبدادهم فى أيام الخليفة المتوكل ، لأنه كان

---

(١) المصدر السابق ١ : ٥٠١ .

(٢) إنباه الرواة ١ : ٢٠٢ .

(٣) الوافى بالوفيات ٥ ـ ٣٥٦ .

يكره الشيعة العلوية ، وكان أكثرهم من الفرس ، فاستبد بهم ، وزاد فى رعاية الأتراك لينصروه عليهم ، فزاد طمعهم فى الدولة ، ثم أغراهم ابنه المنتصر ، أوهم أغروه ، على قتله فقتلوه ، وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء وولوا المنتصر بعده . . ولكن لم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر ، فمات وضميره يخزه ، وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ [1] هـ الذى توفى فى عهده أبو إسحق الزيادى سنة ٢٤٩ هـ .

ومن ثم نرى أن الأتراك قد استفحل أمرهم فى هذا العصر استفحالا يجعلنا نقول : إن بغداد كانت فى يد الخلفاء العباسيين اسما ، وفى يد جبابرة الأتراك فعلا . فكان هؤلاء الأتراك يختارون من بنى العباس من أنسوا منه صغر السن ، أو ضعف الشخصية فيجعلونه خليفة حتى لا يشاركهم فى سلطانهم ، وأحيانا يخيب ظنهم فيشاركهم فى سلطانهم ، أو يتمرد عليهم فينكلون به ، وينتقمون منه [2] .

موقف الحكام من الخدم :

وصلت الفتنة ذروتها إلى أن الخدم كان لهم نفوذ وسلطان فى الدولة العباسية (العصر الثانى) ويرجع سبب ذلك إلى أن الأتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم ، كان فى جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أنهم كانوا يحجرون عليهم قبل الخلافة ويحبسونهم فى القصور ليزيدوهم ضعفا ، وساعدهم على ذلك أن الخلفاء كانوا يميلون إلى حبس أولادهم وأقاربهم خوفا من تواطئهم مع بعض الأتراك على خلعهم أو قتلهم .

هذا ، وقد ألف الحكام أخلاق الخدم فقربوهم إليهم ، وبلغ اهتمام

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٤٦٠ .

(٢) ظهر الإسلام ٢ : ٣ .

المقتدر بالله أن ولاهم شئون الجند فى عصره فكثر الفساد ، وعمت الرشوة، ومصادرة أموال الناس والفتك بهم ، فأصبح الناس يخافون على أنفسهم وأموالهم[1] .

فانتشار مثل هذا الفساد فى البلاد لاشك أنه يؤثر فى حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن الفساد والاضطراب فى الحياتين السياسية والأمنية، وينعكس ذلك على الحياة العلمية .

النحو والنحاة فى حياة الزيادى بين العصرين :

لاشك أن ضعف الخلفاء من بنى العباس ، وتسلط الفرس والأتراك على الحكم أدى ذلك إلى انتشار الفوضى وسوء الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وعلى الرغم من انعكاس هذا الأثر على العلم والعلماء إلا أن أهل العلم فى كل زمان ومكان هم صفوة الخلق فى الأرض بعد الرسل ، فنرى أنهم لم يدعوا العصور تطويهم من غير أن يسجلوا آثارهم على بقاع الأرض ، وفى صفحات التاريخ ، ذلك لأنهم يرون أنفسهم هم الصفوة المسئولة أمام الله - عز وجل - عن أى قصور يقع فى ميدان العلم ... وإن كان أثر الفساد قد انعكس عليهم إلا أنهم تغلبوا على جميع الصعوبات ، وانطلق أهل اللغة يجمعونها سماعا من مصادرها الأصيلة ، وشغلوا أنفسهم بروايتها . . فتلقفها منهم النحاة ليقننوا بها قواعد النحو وأصوله ، واشتغل الشعراء بشعرهم ، ولم تتعطل مركب الحياة العلمية ، وإن كان أمامها من العثرات ما يجعل مسيرتها تتوقف إلا أن صبر العلماء ، وتحملهم للإيذاء والإيلام جعلهم يسبحون بمركبهم التى حصنوها بحصون حجبت عنها كثيراً من أعاصير السياسة ، وزوابع أهل الفتن، وصواعق بعض الحكام . . حتى عبروا بها إلى شاطىء الأمان ، فأيقظت العقول

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٤٦١ .

الغافلة ، وصححت المفاهيم الخاطئة ، وأطلقت الألسنة بلغة القرآن التي كادت الأعاصير أن تذهب بها .

ولقد عد المؤرخون أدباء هذا العصر من النحاة ، وذلك ؛ لأنهم اشتغلوا في النحو .. ولاشك في أن النحوي في حاجة إلى شواهد من اللغة والشعر ، فكان يشتغل باللغة والشعر ، قبل أن يشتغل بالنحو ، لتمتلىء قرائحهم بما يقننون به قواعدهم النحوية ، ويشيدون عليه أصول هذا العلم .

وهناك سبب آخر جعل أكثرهم يشتغلون باللغة والأدب ، وهو أنهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ، ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه ، لما وجدوا فيه من علم جم غزير في علم النحو .. فانصرفت قرائحهم إلى ما دعت إليه المدنية من الاشتغال بالأدب واللغة ، وأصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات ، وإن كان قد ألف بعضهم فيه مختصرات ، أو في بعض أبوابه ، على غرار البحوث في عصرنا الحاضر ، أو كتب بعضهم تعليقات على كتاب سيبويه ، أو شرح نكته كالزيادي .

ومع ذلك نجد أن أصحاب هذه المختصرات أو التعليقات ، وغيرهم من الأدباء صرفوا عنايتهم إلى الأدب واللغة على أن بعضهم غلب عليه الاشتغال بالنحو[1] .

وشيخنا الزيادي عاش حياته العلمية في ظل النزعتين ، فاشتغل باللغة وروايتها بجانب اشتغاله بالنحو ، فتأليفه لكتاب (شرح نكت سيبويه) وكتاب (النقط والشكل) وكتاب (الأمثال) إلى جانب ما روى عنه ونقل في كتب النحو والأدب دليل ساطع على حياته بين النزعتين ، وبخاصة أنه تلقى النحو على سيبويه ، واللغة على أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٤٨٨ - بتصرف .

ويبرز أحد تلاميذه وهو المبرد الذى عاش فترة شبابه فى ظل العصر العباسى الاول حيث ولد سنة ٢١٠ هـ ، وعاش فترة نضوجه وبراعته العلمية فى العصر العباسى الثانى حيث توفى سنة ٢٨٥ هـ .

وكان من أبرز ما ألف فى علم النحو بعد سيبويه كتابه (المقتضب) ومن أبرز ما ألف فى اللغة كتابه (الكامل) الذى يعطى صورة حية عن الثقافة العربية فى جميع نواحيها فى هذه الحقبة من الزمان .

فقد جمع فيه من غرائب اللغة ، وأشعار العرب وأساليبهم التى تعد شواهد نحوية ولغوية ، كما عالج فيه كثيراً من مسائل النحو ومشكلاته ، مما جعل الكتاب ينطق بسمة العصر الذى ألف فيه .

ولا غرو فالمبرد هو أحد تلاميذ أبى إسحق الزيادى .

الفصل الثانى

أثره فى الدراسات النحوية

الزيادى من نحاة البصرة المتقدمين الذى لم يتعصب لمذهبه ، فهو يدور مع الحق حيث دار ، تتلمذ على سيبويه وعاصره ، وقرأ عليه الكتاب ، ولم يتمه ، وهو بذلك يعد من النحاة الذين لهم دور فعال فى الدراسات النحوية ، فلا غرو أن يكون صاحب رأى بين نحاة البصرة والكوفة وبغداد ، وبخاصة أنه راوية ثقة فى اللغة والشعر ، بالإضافة إلى علمه بقواعد النحو وأصوله .

فلقد صنف فى النحو كتابين هما :

(شرح نكت كتاب سيبويه) و (كتاب فى النقط والشكل) .

ولا شك أن الكتابين من عنوانهما يعلم ما فيهما من علم دقيق ، ذلك لأن العصر الذى ألفهما فيه ينطق بأهميتها ، حيث عصر التأليف ، وتقنين النحو وأصوله ، فضلا عن المناظرات التى كانت تعقد بين النحاة ، ويشهدها حكماء هذا العلم وفحوله ، فتأليف هذين الكتابين فى هذا العصر يدل على براعة أبى إسحق الزيادى بين نظرائه فى هذا الفن .

هذا ، وإن لم يسعدنا الحظ بوضع أيدينا على هذين الكتابين إلا أن اهتمام أصحاب كتب التراجم بالزيادى وبمؤلفاته ، فقد وضعوه فى مصاف النحويين واللغويين ، واهتم حاجى خليفة ، وكارل بروكلمان بالتعليق على مؤلفاته بعد ذلك دليلا آخر على نبوغه بين نظرائه فى عصره .

كما أن تتلمذ نخل من فحول النحو كالمبرد على الزيادى يعد كذلك أثراً طيباً له ، فالمبرد من أئمة النحو واللغة .

وإن كانت مؤلفات الزبادى قد طوى الزمان عليها صفحاته ، والبحر عليها أمواجه ، والجبل عليها بركانه ، إلا أن أمانة أهل العلم ما زال يتوارثها الخلف عن السلف ، فقد نقل الخلف عن سلفهم بعض آراء لأبى إسحاق الزبادى أفصحوا بها عن علم الزبادى ، وأثره فى الدراسات النحوية ، وعدوه صاحب مذهب فى النحو بين أساتذته ونظرائه فى عصره ، فاعتدوا برأيه فى تقنين قواعد النحو وأصوله . . الأمر الذى دفع المتأخرين من النحاة ينقلون آراءه عن المتقدمين منهم ، ويحتجون بها على بعض المذاهب الأخرى ، وقد تمسك بها النحاة المعاصرون فطعموا بها مؤلفاتهم الحديثة .

وها أنذا أذكر جانباً من آرائه فى بعض المسائل والقضايا النحوية .

- فمن الله العون ، وإليه القصد -

حكم إعراب الأسماء الستة :

من المعلوم لدينا أن النحاة قد اختلفوا فى حروف الإعراب فى الأسماء الستة ، فوجهوا فيها القول على النحو التالى :

ذهب سيبويه إلى أنها حروف إعراب ، والإعراب فيها مقدر ، كما تقدر فى الأسماء المقصورة ، وإنما قلبت فى النصب والجر للدلالة على الإعراب المقدر ، ولا يلزم مثل ذلك فى الأسماء المقصورة ، لما ذكر فى أن إعراب هذه الأسماء بالحروف فلا يقاس عليها غيرها .

ووافقه الأخفش فى أنها حروف إعراب .

وذهب الجرمى إلى أن الانقلاب فيها بمنزلة الإعراب .

وذهب المازنى إلى أنها معربة بالحركات ، وما قبل حروف العلة حرف إعراب كما كانت عند الانفراد ، وهذه الحروف نشأت من إشباع حركات

حروف الإعراب ، كما نشأت الواو من إشباع الضمة .

وذهب الزيادى إلى أنها أنفسها إعراب .

وذهب على بن عيسى الربعى إلى أنها معربة بالحركات ، وحروف العلة فيها لامات فى الرفع أصلية ، وفى النصب والجر مبدلة[1] .

ونقل أبو حيان فى تذكرته هذه الآراء معزوة لأصحابها ، وأضاف قطرب إلى الزيادى موافقاً له ، ومعتمداً له ، وزاد رأى أبى على الفارسى وأصحابه الذين قرروا أنها حروف إعراب ودوال على الإعراب ، وليس فيها إعراب مقدر[2] .

وقال الأشمونى : واعلم أن ما ذكره الناظم - يريد ابن مالك - من أن إعراب هذه الأسماء بالأحرف هو مذهب طائفة من النحويين . منهم : الزجاجى وقطرب والزيادى من البصريين ، وهشام من الكوفيين فى أحد قوليـــه .

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وهذا أسهل المذاهب وأبعدها عن التكليف[3] . ثم أشار إلى مذهب سيبويه والفارسى وجمهور البصريين ليتضح الفرق بين هذه المذاهب وتوجيهاتها .

ومثل ذلك ذكر السيوطى[4] ، وناظر الجيش[5] ، والمرادى ، وقد

---

(١) انظر هذه الآراء فى الكافى شرح الهادى للزنجانى : ٨٠ .

(٢) انظر تذكرة النحاة لأبى حيان : ٧١٤ .

(٣) انظر شرح الأشمونى ١ : ٧٤ .

(٤) انظر همع الهوامع ١ : ١ : ١٢٣ .

(٥) انظر ناظر الجيش وأثره فى الدراسات النحوية ٤ : ١٦٤ .

نقل تعليق ابن مالك فى التسهيل مفصحاً به عن كون مذهب الزيادى هو أسهل المذاهب وأبعدها عن التكلف[1] ، ونقل ذلك أبو حيان فى كتابه الارتشاف[2] .

ووجه ابن الأنبارى القول فى آراء النحاة ، وذكر مذاهبهم ومن بينهم الزيادى ، وضعف مذهبه فقال : وأما من ذهب إلى أنها أنفسها إعراب ، فظاهر الفساد، وذلك لأن الإعراب لا يخل سقوطه ببناء الكلمة ، ولو أسقطنا هذه الأحرف لبطل معنى التثنية والجمع واختل معنى الكلمة ، فدل ذلك على أنها ليست إعراب ، وإنما هى حروف إعراب ورجع ماذهب إليه سيبويه[3] .

والحق ما ذهب إليه الزيادى ؛ لأن سيبويه يرى أنها حروف إعراب والإعراب فيها مقدر ، كما يقدر فى الأسماء المقصورة ، كما أن ابن الأنبارى وجه الخلل فى جانب التثنية والجمع ، والكلام هنا فى إعراب الأسماء الستة ، فيبدو أن مذهبه فيما يعرب بالحروف واحد .

من هذا العرض يتبين أن رأى الزيادى هو الأصل فى إعراب الأسماء الستة بالحروف ؛ وأن من جاء من بعده من جمهور البصريين والكوفيين قد جروا على هذا المذهب وعد بينهم أشهر المذاهب وأقربها إلى العقل ، فضلا عن موافقة كثير من نظراء الزيادى المعاصرين له .

وهذا هو المذهب المشهور والمعمول به فى كتب المتأخرين من النحاة ، وقد ارتضاه ابن مالك ، ووصفه بأنه أسهل المذاهب ، وأبعدها عن التكلف .

---

(١) انظر توضيح المقاصد للمرادى ١ : ٦٩ .

(٢) انظر ارتشاف الضرب ١ : ٤١٥ .

(٣) أسرار العربية : ٥١ ، ١٥٢ .

ومن ثم نعلم أن الزيادى كان صاحب رأى يعتد به بين نحاة البصرة والكوفة المتقدمين ، كما أن مخالفته شيخه سيبويه فيما يرى أن فيه الصواب من وجهة نظره ، وفيه السهولة على طلاب العلم ، يعد ذلك دليلا ساطعا على رجاحة عقله ، ونبوغه فى هذا الفن ، وما سأذكره بعد ذلك من آراء وتوجيهات له فى بعض المسائل الأخرى تؤكد هذه الحقيقة .

مذهب الزيادى فى الفاء فى قولهم : (خرجت فإذا زيد) .

يقول أبو حيان فى تذكرته : (خرجت فإذا زيد) زيد : مبتدأ ، وإذا : خبر مقدم ، و (إذا هم يقنطون)[1] ساغت المجازاة بـ (إذا) هذه ، لأنه لا يصح الابتداء بها ، ولا تكون إلا مبنية على كلام ، نحو (خرجت فإذا زيد) .

وذهب الزيادى إلى أن دخول الفاء هنا على حد دخولها فى جواب الشرط .

وذهب أبو عثمان إلى أنها زائدة لازمة على حد زيادة (ما) فى قولهم : (افعل ذلك آثرا ما) .

وذهب أبو بكر إلى أنها عاطفة ، كأنه حمل على المعنى ، لأن المعنى : (جاءنى ففاجأنى زيد) .

وإذا قلت ذلك كانت الفاء عاطفة لا محالة[2]

وذكر أبو المعالى عبدالوهاب الزنجانى فى (كتابه الكافى شرح الهادى) هذه الآراء والتوجيهات المذكورة آنفاً ، واختار رأى أبى بكر ، وعلق

---

(١) سورة الروم : ٣٦ .

(٢) تذكرة النحو والنحاة لأبى حيان : ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

عليه بقوله : وهو أقرب الاقوال إلى الصواب[1] .

وقد ذكر هذه الاقوال فى أثناء تعليقه على أقسام الشرط الذى أبرز فيها موطن استعمال الفاء فى جواب الشرط كقسم من الشرط ، فقد عد أقسام الشرط ثلاثة :

الاول : الفعل ، وهو الاصل .

والثانى : الفاء ، ويقع بعدها ما لا يصح أن يلى حرف الشرط ، كالمبتدأ والخبر ، والامر والنهى والاستفهام والدعاء ، والماضى الصريح مقرونا بـ (قد) .

والثالث : (إذا) كقوله تعالى : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » ، فأوقعوا (إذا) التى للمفاجأة فى جواب الشرط ، لان المفاجأة تناسب الشرط ، وهى ظرف مكان وقع موقع الفعل .

ولا يجوز أن تكون (إذا) زمانية ، لان إذا الزمانية فيها معنى الشرط ، ولا يكون الشرط جوابا للشرط ، لاحتياج كل واحد منهما إلى ما يحتاج إليه الآخر .

ثم فرع على ذلك بقوله : فإذا قلت : ما هذه الفاء فى قولك : (خرجت فإذا زيد) قلت : قال الزيادى : هى كالفاء فى جواب الشرط .

وهو ضعيف إذ لا معنى للشرط ها هنا ، ولو كانت فيه معنى الشرط لاغنت (إذا) عن الفاء كما فى الآية .

ثم ذكر رأى كل من أبى عثمان وأبى بكر السابق ذكرهما آنفا معضداً رأى أبى بكر بقوله : وهو أقرب الاقوال إلى الصواب[2] .

وبذلك نرى أن مذهب الزيادى هو : أن الفاء الداخلة على (إذا) هى

---

(١) الكافى شرح الهادى : ١٢٦٢ .

(٢) الكافى شرح الهادى ١٢٦١ .

فاء الجزاء فى جملة الشرط : وإن كان القول الراجح هو ما ذهب إليه أبو بكر ابن السراج .

ويؤيد ذلك ما قرره ابن جنى فى كتابه (الخصائص) حيث خصص باباً أسماه (جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه) عرض فيه سؤالا وهو قوله :

ومن ذلك أن يقال لك : من أى تجمع بين قوله تعالى : « يوم تبلى السرائر » فما له من قوة ولا ناصر »[1] مع قول الشاعر :

زمان على غراب غداف فطيرد الدهر عنى فطارا

فالجواب : أن فى كل واحد من الآية والبيت دليلا على قوة شبه الظرف بالفعل .

أما الآية ، فلأنه عطف الظرف فى قوله : « فما له من قوة » على قوله : « يوم تبلى السرائر » والعطف نظير التثنية ، وهو مؤذن بالتماثل والتشابه .

وأما البيت ، فلأنه عطف الفعل فيه على الظرف الذى هو قوله : (على غراب غداف) وهو واضح .

يقول ابن جنى : وبهذا يقوى عندى قول مرمان : إن الفاء فى نحو قولك : (خرجت فإذا زيد) عاطفة ، وليست زائدة كما قال أبو عثمان ، ولا للجزاء كما قال الزيادى[2] .

وقد عنى الشيخ / عضيمة بإلقاء الضوء على هذه الآراء ، ونقل عن المبرد قوله : بأن الفاء عاطفة حيث ذكر فى المقتضب[3] توجيه القول فى قولك :

---

(١) الطارق : ٩ ، ١٠ .

(٢) الخصائص ٣ : ٣٢٠ .

(٣) ٣ : ١٧٨ .

(جئتك فإذا زيد) و (كلمتك فإذا أخوك) وتأويل هذا : جئتك ففاجأني زيد ، وكلمتك ففاجأني أخوك[1] .

ومن المعلوم أن المبرد هو تلميذ الزيادى ومع ذلك خالفه فى مذهبه ، وفى إشارة واضحة تؤكد التحرر العلمى من غير تعصب لرأى أو مذهب خدمة للعلم وتحر للأمانة فى الفهم وتقنين القول .

فهذه آراء ومذاهب النحاة فى الفاء الداخلة على (إذا) الفجائية ، كل قرر رأيه ووجه القول فيه ، وفى النهاية تبين رجحان قول القائلين : أنها عاطفة ، وليس معنى ذلك أن الآراء الأخرى تهمل .. لا .. فهى آراء معتد بها .

فالزيادى يعد صاحب مذهب بين قول النحاة ، ورأيه معتد به بينهم ، وليس معنى ضعف مذهبه أنه بعيد عن القاعدة النحوية .

أقول : لا بذلك لأنه يستمد رأيه من روح القاعدة ، فيبدو أنه بنى قوله على ضعف عطف الظرف على الضمير ، فوجه القول خروجاً من هذا الضعف إلى أن هذه الفاء تشبه الفاء فى جواب الشرط ، لتؤدى مدلولا فى الكلام غير العطف ، وهى فى نفس الوقت تربط ما بعدها بما قبلها .

العامل فى البدل :

عقد ابن جنى فى كتابه (الخصائص) فصلا أوقفه للحديث فيه على (الحمل على المعنى) ذكر فيه قول الشاعر :

تذكرت أرضا بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها

والشاهد فيه : (أهلها أخوالها ... وأعمامها) حيث أورد (أهلها)

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم - القسم الأول - ١ : ١١٩ .

مرفوعاً على أنه فاعل لـ (تذكرت) وأبدل منه (أخوالها) الذى ورد منصوباً ، وعطف عليه و (أعمامها) بالنصب . وكان مقتضى الأمر أن يرفع (أخوالها) لأنه بدل من (أهلها) المرفوع ، ثم يعطف (أعمامها) على (أخوالها) المرفوع .

وقد وجه ابن جنى القول فى هذا الشاهد فقال : لك فيها وجهان ـ إن شئت قلت : إنه أضمر فعلا للأخوال والأعمام على ما تقدم فنصبها به ، كأنه قال فيما بعد : تذكرت أخوالها فيها وأعمامها ، ودل على هذا الفعل المقدر ، وهو قوله : (تذكرت أرضاً بها أهلها) لأنه إذا تذكر هذه الأرض ، فقد علم أن التذكر قد أحاط الأخوال والأعمام ، لأنهم فيها على ما مضى من الأبيات ، (أى : التى قبل هذا البيت) .

وإن شئت جعلت (أخوالها وأعمامها) بدلا من الأرض بدل اشتمال على قول الله سبحانه : « قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود »[1] .

فإن قلت : فإن البدل العامل عندك هو غير العامل فى المبدل منه ، وإذا كان الأمر كذلك فقد آل الحديث إلى موضع واحد ، وهو إضمار الفعل ، فلم قسمت الأمر فيهما إلى موضعين ؟

قيل : الفرق قائم ، ووجهه أن اتصال المبدل بالمبدل منه أشد من اتصال ما حمل على المعنى بما قبله ، وإنما يأتى بعد استقرار الكلام الأول ورسوخه ، وليس كذلك البدل لأنه وإن كان العامل فيه غير الأول عندنا ، فإنه مع ذلك مشابه للصفة وجار مجراها .

نعم قد خالف فيه أقوام ، فذهبوا إلى أن العامل فى الثانى هو العامل فى الأول .

---

(١) البروج : ٤ ، ٥ .

ثم أكد ابن جنى ما قرره بما حدث به أبو على عن الزيادى فى روايته التى سمعها عن أبى الحسن فقال :

وحدثنا أبو على أن الزيادى سأل أبا الحسن عن قولهم : (مررت برجل قائم زيد أبوه) - برفع زيد وأبوه - (أأبوه) بدل أم صفة ؟

قال - أى الزيادى : فقال أبو الحسن : لا أبالى بأيهما أجبت . أفلا ترى إلى تداخل الوصف والبدل ، وهذا يدل على ضعف العامل المقدر مع البدل (١) .

مما سبق نرى كيف كان أبو على الفارسى يثق فى الزيادى ، ويعتد بروايته. ومن هو أبو على ؟ إنه فارس الحلبة فى النحو البغدادى ، وإمام المذهب .

كما أن الزيادى هو الآخر كان لا يأخذ نحوه إلا عن الفحول ، ويتضح ذلك من سؤاله لأبى الحسن الأخفش ذلك البصرى العتيق .

ومن خلال هذا العرض نخلص إلى أن الزيادى يرى أن تداخل الوصف والبدل يدل على ضعف العامل المقدر مع البدل ، وهذا ما سمعه من أبى الحسن وارتضاه ، وتأكد عنده ، وإلا فلو كان له رأى غير هذا لأفصح عنه ، وبين وجه اعتراضه على أبى الحسن الأخفش .

مذهب الزيادى فى حكم التفريق بين اسم الإشارة ونعته :

يقول ابن مالك :

ونعت غير واحد إذا اختلف فعاطفا فرقه لا إذا ائتلف

المراد بغير الواحد : ما دل على متعدد ، مثنى أو جمعا ، أو اسم جمع ، أو اسم جنس ، أو اسمين متعاطفين ، أو أسماء متعاطفة ، كذا فسر الدمامينى.

---

(١) الخصائص ٢ : ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

وأورد عليه أن نحو : (زيد وعمرو) إذا اختلف نعته لا يجب فيه التفريق بالعطف ، بل يجوز فيه ذكر كل نعت بجانب منعوته ، نحو : (جاء زيد العاقل وعمرو الكريم)[1] .

والاختلاف يتحقق فى اللفظ والمعنى ، كالعاقل والكريم ، أو معنى لا لفظا ، كالضارب من الضرب بالعصا مثلا ، والضارب بمعنى الضرب فى الارض ، أى : السير فيها ، أو لفظا لا معنى كالذاهب والمنطلق .

ومن ذلك نعلم أن حاصل كلام ابن مالك : إذا نعت غير الواحد ، فإما أن يختلف النعت أو يتفق .

فإن اختلف ؛ وجب التفريق بالعطف ، فتقول : (مررت بالزيدين الكريم والبخيل) و (برجال فقيه وكاتب وشاعر) .

وإن اتفق ؛ جيء به مثنى أو مجموعا ، نحو : (مررت برجلين كريمين ، وبرجال كرماء)[2] .

وذكر الاشمونى أنه يستثنى من المختلف اسم الإشارة ، قال : لا يجوز تفريق نعته ، فلا يقال : (مررت بهذين الطويل والقصير) نص على ذلك سيبويه وغيره كالزيادى والزجاج والمبرد .

قال الزيادى : ويجوز ذلك على البدل أو عطف البيان[3]

وقد نقل أبو حيان هذا الرأى عن الزيادى[4] .

فهذا موقع الزيادى بين فحول البصرة من النحاة وبجانب أستاذه سيبويه ،

---

(١) انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى ٣ : ٦٥ بتصرف .
(٢) انظر شرح ابن عقيل ٢ : ١٤٢ .
(٣) انظر شرح الأشمونى ٣ : ٦٥ .
(٤) انظر ارتشاف الضرب ٢ : ٥٨٩ .

وتبرز شخصيته ورجاحة عقله عند توجيه الكلام على قول آخر حيث قال : بجواز التفريق بين الإشارة ونعته المختلف ، على أن يكون على البدل أو عطف البيان ، مع العلم أنه مع سيبويه وغيره فى عدم التفريق بين اسم الإشارة ونعته المختلف .

وكأنه قد أراد بذلك أن يقول : إن ما ذهب إليه سيبويه هو الأصل ، ويجوز عندى تفريعا من هذا الأصل جواز التفريق بين اسم الإشارة ونعته المختلف بشرط أن يعرب النعت بدلا أو عطف بيان ، والبيان كما نعلم يشبه الصفة .

هذا وفى المسألة التى سأعرضها بعد توكيد لما ذهب إليه الزيادى ، وسأنصح - إن شاء الله - عن حجته .

موقف الزيادى من نعت اسم الإشارة وعطف البيان عليه والبدل منه :

أوقف ابن هشام فى كتابه (مغنى اللبيب) باباً خصه لدراسة مسائل مفردة أفصح فيها عن الاختلاط الذى يقع فيه بعض المعربين بسبب تناقض الشروط فى بعض أبواب النحو ، الأمر الذى أدى إلى وقوع بعضهم فى الوهم .. وقد ذكر منها أنواعا ليس موضعها هذا البحث .. ولكن حسبى الوقوف عندما نجد فيه الزيادى توجيهات لنتعرف على موقفه بين أئمة النحاة .

فمن النوع الثالث (نعت اسم الإشارة و (أى) فى النداء) وقد اشترطوا لهما تعريف اللام الجنسية .

ومن الوهم فى ذلك قول الزمخشرى فى قراءة ابن أبى عبلة : « إن ذلك لحق تخاصم أهل النار »[1] بنصب (تخاصم) على أنه صفة للإشارة .

(١) ص : ٦٤ .

وقد وقع الوهم بسبب اشتراط بعض المحققين الاشتقاق فى نعت الإشارة كما اشترطوه فى غيره من النعوت .

وعلى ذلك لا يكون التخاصم عطف بيان ؛ لأن البيان يشبه الصفة ، فكما لا توصف الإشارة إلا بما فيه (أل) كذلك ما يعطف عليها .

ولهذا منع أبو الفتح فى « وهذا بعلى شيخ »[1] برفع (شيخ) فى قراءة ابن مسعود على أن (بعلى) عطف بيان ، وأوجب كونه خبراً ، و (شيخ) إما خبر ثان ، أو خبر لمبتدإ محذوف ، أو بدل من (بعلى) أو (بعلى) بدل ، و (شيخ) الخبر .

ونظير منع أبى الفتح ما منعه ابن السيد فى كتابه (المسائل والأجوبة) وابن مالك فى التسهيل ، حيث ذكرا أن عطف البيان تابعاً المضمر ، لامتناع ذلك فى النعت .

ولكن أجاز سيبويه (يا هذان زيد وعمرو) على عطف البيان ، وتبعه الزيادى فأجاز (مررت بهذين الطويل والقصير) على البيان ، وأجازه على البدل أيضاً ، ولم يجزه على النعت ، لأن نعت الإشارة لا يكون إلا طبقها فى الفاظ .

ومما نص على منع النعت فى هذا سيبويه والمبرد والزجاج ، وهو مقتضى القياس[2] . وذلك على ما سبق إيضاحه فى المسألة التى سبق بيانها قبل هذه المسألة آنفا .

ومما نقل عن الزيادى مذهبه فى هذه المسألة محمد بن أبى بكر الدمامينى[3] .

---

(١) هود : ٧٢ .

(٢) مغنى اللبيب ٢ : ٥٧٥ ، ٥٧٦ بتصرف . والارتشاف ٢ : ٥٨٩ .

(٣) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : ٣٦٤ .

ومن ثم نعلم أن ما جرى عليه الزيادى فى إجازة عطف البيان أو البدل فى (مررت بهذين الطويل والقصير) انطلاقاً من إجازة سيبويه عطف البيان فى نحو : (يا هذان زيد وعمر) .

وأما امتناعه من جواز النعت فمن أجل التمسك بما جرى عليه مقتضى القياس ولكن حكمته فى التوجيه ، وعمق فهمه لقواعد النحو أهلته لتخريج نعت اسم الإشارة إذا اختلف على البدل أو عطف البيان ، وبذلك يتضح موقف الزيادى من أستاذه سيبويه ومن تبعه من أئمة النحو ، وحجته فيما وجه فيه القول من إجازة البدل أو عطف البيان فى نعت اسم الإشارة إذا جاء مختلفا.

حكم إعمال أمثلة المبالغة :

الأمثلة الخمسة هى : (فعول ، وفعال ، ومفعال ، وفعيل ، وفعل[1]) .

ذهب الكوفيون إلى أنها لا تعمل ، لأنها لما جاءت للمبالغة زادت معنى على الفعل ، لأن أفعالها لا مبالغة فيها ، فلا يجوز إعمالها .

وذهب سيبويه إلى جواز إعمالها بالشروط التى هى مشترطة فى اسم الفاعل.

ومنع أكثر البصريين . منهم : المازنى والزيادى والمبرد ، إعمال (فعيل ، وفعـــل) .

وفرق الجرمى بينهما ، فأجاز إعمال (فعيل) .

وفرق أبو عمرو بينهما فأجاز إعمال (فعل) على ضعف ، وخالف فى (فعيل) قال : تقول : (أنا حـــذر زيداً ، وفرق عمرا) تريد من زيد ومن عمرو[2] .

---

(١) الأمثلة الخمسة : اشتهرت بصيغ المبالغة فى معظم كتب النحو .

(٢) التذييل والتكميل لأبى حيان ـ الجزء الرابع : ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، وشرح الأشمونى ٢ : ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

أقول : الأصل فيها كما ذهب إليه سيبويه لورود السماع بذلك ، في تعمل عمل اسم الفاعل بشروطه إلا أن إعمال (فعال ، ومفعال ، وفعول) أكثر من إعمال (فعيل ، وفعل) وإعمال (فعيل) أكثر من إعمال (فعل) .

والشواهد على ذلك كثيرة . منها : ما سمعه سيبويه من قول بعضهم : (أما العسل فأنا شراب) فالعسل : مفعول به معمول لـ (شراب) . وكذلك قول أبي طالب يرثي أبا أمية المخزومي زوج أخته عاتكة :

ضروب بنبل السيف سوق سمانهـــا
إذا عـــدموا زادا فـــإنك عاقر[1]

والشاهد نصب (سوق) بـ (ضروب) لاعتماده على ذي خبر محذوف ، أي : هو ضروب ، والأمثلة على إعمال هذه الصيغ كثيرة[2] .

من أسماء الأفعال (أف) :

(أف) اسم فعل مضارع بمعنى (أتضجر) نقـــل محمد بن أبي بكر الدماميني ما ذكره أبو الفتح ابن جني في (أف) ثمان لغات ، ضم الفاء للاتباع على لغة (أشد) وفتحها للتخفيف ، وكسرها على الأصل ، في حركة الساكنين ، وهما لغة في (شد وشد) وهذه الثلاثة مع ترك التنوين ومع وجوده على حد قولك : (صه ، ومه) والسابعة (أف) خفيفة الفاء ، كما قيل : في (بخ) بالتشديد مخففا ، والثامنة (أف) على وزن (حبلى) والعامة تقول بالياء وهو خطأ[3] .

---

(١) سوق : جمع ساق . سمانها : جمع سمينة ، وهي الممتلئة الجسم ، عاقر : ناصر من العقر وهو الجرح . يقول : إن أبا أمية كان كريما واسع الجود يعقر الإبل السمان إذا أعسر الناس ولم يجدوا زادا .

(٢) أوضح المسالك ٢ : ١٠ ، ١١ .

(٣) انظر توجيه هذه اللغات في الأمالي الشجرية ١ : ٣٩٠ ، وشرح ابن يعيش ٤ : ٧٠ .

وذكر الزيادى فيها نحو أربعين لغة ما لم تؤنث بالتاء ، فيقال : (أفة) فينصب مصدراً بفعل مقدر واجب الإضمار ، وقد يرفع فيقال : (أفة) والمعنى فى الوجهين على الدعاء ، ولكن فى الثانى يرتفع على أنه خبر مبتدإ محذوف[1] .

هذا ومن المعلوم أن (أف) اسم فعل مضارع بمعنى (أتضجر) كما سبق إيضاحه وهو مبنى ، وحقه البناء على السكون . لأنه الأصل فى البناء ، والحركة فيه لالتقاء الساكنين ، وهما الفاءات .. وأما ما ذكر عن أبى الفتح والزيادى ما هو إلا لغات فيها ، وفى ذلك دلالة على سعة أفق الزيادى وعلمه الواسع باللغة التى يخدم بها قواعد النحو .

توجيه القول فى حكم (من وما وأى) إذا كان الفعل معها غير ماض :

إذا كان الفعل مع (ما ومن وأى) غير ماض وجب لها فى السعة حكم (الذى) نحو : (آتى من يأتى زيدا ، وما أحب تحبه ، وأكرم أيهما يحبك) فيجب رفع الفعل فيهن ، والمجىء بالعائد ، وكون الجملة لا محل لها ، هذا فى السعة .

فأما فى ضرورة الشعر ، فيجوز بقاء الشرطية والجزم ، وكذا إن أضيف إليهن (حين) إلى اسم زمان مثل : (أنذكر إذ من يأتينا لا يأتيه) لأن أسماء الزمان لا تضاف إلى جملة مصدرة بـ (إن) مكان ما صدر بمتضمن معناها ، مثل (من) كذلك ، وهذا مذهب سيبويه والجرمى والمبرد .

وجوز الزيادى الجزم ، ونسب ذلك إلى المبرد أيضاً .

---

(١) انظر تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : ٧٠٠ .

ويجب ذلك ، أى : حكم (الذى) لمن ، أى : لـ (من وما وأى) مطلقاً ، أى : فى السعة والضرورة ، قاله المرادى[1] .

رد المحذوف فى التكسير :

قال الدمامينى : ما حذف فى الإفراد من الأصول رد فى التكسير ، نحو : (حر ، وأحراج ، وسنة وأسناه ، ويد وأيدى ، وشفة وشفاه ، وشاه وشياه ، وأخ وأخوة) وقالوا أيضاً فى التكسير (آخاه) .

وقد استدل على صحة جمع (أخ) جمع تكسير على (آخاه) بما أنشده الزيادى من قول ابن أخى المهلب قال[2] :

وجدتم بينكم دوننا إذا نسبتم ... وأى بنى الآخاه تنبو مناسبه

فوليتموه صفوة العيش دوننا ... وندعى إذا ماهاب بالموت هابية[3]

فالزيادى ممن يحتج برأيه ، وذلك واضح من هذه المسألة والتى قبلها ، كما أن اشتغاله باللغة قدم خدمات جليلة لقواعد النحو ، وبخاصة فى مطلع لجوها وضحاها .

مواضع حذف الهمزة :

عقد صاحب كتاب (كشف المشكل فى النحو) بابا خصصه لـ (قسمة التصريف) ذكر فيه أن التصريف ينقسم على خمسة أضرب[4] :

(زيادة ، وبدل ، وحذف ، وحركة ، وسكون) .

وجعل لكل قسم فصلا بسط القول فيه .. وفى الفصل الذى خصصه

---

(١) انظر تعليق الفوائد : ٨٧١ .

(٢) المصدر السابق ١٠٦٠ .

(٣) البيتان من الطويل ، وهما لبشر بن المهلب . انظر الخصائص ١ : ٢٠١ ، ٢٣٨ .

(٤) كشف المشكل فى النحو ٢ : ٢٨٤ - ٣٠٩ .

للحذف قال فيه : الحذف فهو حذفان (مقيس ومسموع) واستأنف حديثه عن المقيس وبسط القول فيه ، ثم قال :

وأما المسموع الذى لايقاس عليه فهو عشرة أحرف (الألف ، والهمزة ، والتاء ، والحاء ، والخاء ، والنون ، والواو ، والفاء ، والهاء ، والياء) يجمعها فى قولهم : (أتيح خوف هنا) حذفت هذه الحروف فى مواضع مخصوصة ، وبدأ يعدد هذه المواضع ويوجه القول فيها[1] .

ثم قال : وحذفوا همزة الأصل فى الأمر فى قولهم : (خذ ، ومر ، وكل) وأصله (أأخذ ، وأأكل ، وأأمر) ولكنها تحدث ألف وصل إذا كان مابعد الهمزة ساكنا ، وذلك نحو قوله تعالى : « ثم ائتوا صفا[2] » ، وتزاد إن تحرك ، نحو قوله : « وأمر أهلك بالصلاة[3] » إلا أن هذا النوع الآخر لا يكون إلا مع الوصل ، ولو ابتدأت به لقلت : مر أهلك .

وكذلك تسقط همزة الأصل وإن كانت عينا فى الابتداء فى مثل : « سل بنى إسرائيل[4] » ، ولو وصلت قلت : (واسأل بنى إسرائيل) .

فإذا كانت لاما لم تسقط مثل : جاء يجىء ، وجىء يا فلان ، ومثله (نرى) أصله (نرأى) وربما رده الشاعر إلى أصله ، قال سراقة البارقى :

أرى عينى مالم يرأياه كلانا عالم بالترهات[5]

---

(١) المصدر السابق ٢ : ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٢) طه : ٦٤ .

(٣) طه : ١٣٢ .

(٤) البقرة : ٢١١ .

(٥) البيت من الوافر . والترهات : الأباطيل ، واحدها ترهة . انظر ديوان سراقة : والمحتسب ١ : ١٨٨ ، والخصائص ٣ : ١٠٣ .

ومثل قوله تعالى : « لكنا هو الله ربي[1] » تقديره : لكني أنا أقول هو الله ربي .

وقال : (سبا ، وملك) والأصل : (سبأ ، وملئك) وحذفت في (سواية) والأصل : (سوائية) بوزن كراهية وحذفت أيضاً في (أشياء) والأصل : (أشيئاء) كأنبياء ، ولذلك لم تنصرف ولو كان على أفعال لا تصرف كأسماء .

وهذا قول الأخفش والفراء والزيادي .

وقال الخليل وسيبويه والمازني : وزن (أشياء) وأصله (شيئاء) على فعلاء .

وقال أبو حاتم : وزنه أفعال ، إلا أنه غير مصروف ، ولهم في ذلك اعتلال طويل[2] .

من هذا العرض لآراء النحاة الأول يتضح لنا موقف الزيادي من سيبويه ، فنراه يوافقه في مواضع ، ويخالفه في أخرى ، ومخالفة سيبويه ليست بالأمر الهين ، بل لابد أن يكون ذلك عن بينة ، وهذا يتطلب عمقا في الفكر ، وسعة في الأفق .

كما أننا نلاحظ موقع الزيادي بين أئمة النحو الأول كالخليل وسيبويه والأخفش والفراء وأبي حاتم وغيرهم من فحول هذا الفن إن هل ذلك على شيء فإنما يدل على مكانته العلمية بين أساتذته ، ونظرائه .

حكم العطف على الضمير المجرور :

لا يجب عود الجار في عطف على ضميره ، أي : الجر - لورود ذلك في الفصيح بغير عود ، قال تعالى : « تساءلون به والأرحام[3] » ، « وجعلنا

---

(١) الكهف : ٣٨ .

(٢) كشف ٢ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٣) النساء : ١ .

لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين[1] » وهذا رأى الكوفيين ويونس والأخفش ، وصححه ابن مالك وأبو حيان . خلافا لجمهور البصريين فى قولهم بوجوب إعادة الجار ، لأنه الأكثر ، نحو قوله تعالى : « فقال لها وللأرض[2] » ، « وعليها وعلى الفلك[3] » ، « ينجيكم منها ومن كل كرب[4] » ، « نعبد إلهك وإله آبائك[5] » .

واحتجوا بأن ضمير الجر شبيه بالتنوين ومعاقب له ، فلم يجز العطف عليه كالتنوين ، وبأن حق المتعاطفين ، لا يصلح لحلوله محـــل المعطوف ، فامتنع العطف عليه .

قال ابن مالك : والجواب أن شبه الضمير بالتنوين لو منع من العطف عليه لمنع من توكيده والإبدال منه كالتنوين ، ولا يمنعان بإجماع ، أى : لا يمنع الإبدال من الضمير وتوكيده ، وأن الحلول لو كان شرطا لم يجز ، نحو : (رب رجل وأخيه ، ولا كل شاة وسخلتها بدرهم) .

ويرى الجرمى والزيادى وجوب العود إن لم يؤكد ، نحو : (مررت بك وزيد) بخلاف ما إذا أكد نحو : (مررت بك أنت وزيد ، ومررت به نفسه وزيد ، ومررت بهم كلهم وزيد[6]) .

وذكر بعضهم أنه ينبغى أن يقيد العطف على المجرور بأن يكون الحرف غير مختص بالضمير احترازاً من (لولا) على مذهب سيبويه ، فإنه لا يجوز

---

(١) الحجر : ٢٠ .
(٢) فصلت : ١١ .
(٣) غافر : ٨٠ .
(٤) الأنعام : ٦٤ .
(٥) البقرة : ١٣٣ .
(٦) همع الهوامع ٥ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

عطف ظاهر على مجرورها ، فلا يقال : (لولاك وزيد) إذ لو رفعت لتوهم أنك نطقت بضمير الرفع ، ففى جوازه نظر[1] .

وذهب الجرمى والزيادى إلى أن الضمير المجرور إن أكد بضمير جاز العطف عليه بدون إعادة الخافض ، نحو : (مررت بك أنت وزيد) وإلا امتنع.

ومذهب البصريين وعليه المحققون : المنـــع مطلقا سواء أكد ، أو لم يؤكد ، وما ورد مما يخالف ذلك فهو شاذ ، أو مؤول[2] .

فذهب الزيادى والجرمى ظاهره جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور إذا أكد بضمير مناسب له بدون إعادة الخافض ، وإن لم يتحقق هذا الشرط وجب عود الخافض .

إعلال الواو :

أنشد أبو زيد الأنصارى أرجوزة ، ثم قال : قال أبو الحسن : أنشدنى هذه الأرجوزة أبو محمد عبد الله بن جوان البصرى عن الزيادى .

وفى نهاية الأرجوزة قوله :

(عيناه حوراء من العين الحير[3])

والشاهد فى قوله : (الحير) وذلك أن أصل (الحير) : (الحور) فكان ينبغى أن يقول : (الحور) بالواو ، ولكنه أعل الواو ، فقلبها ياء اتباعا لكلمة العين ، وهذا عند حذاق أهل العربية يجرى على الغلط .

---

(١) تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : ٤٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ٤٦٧ .

(٣) الأرجوزة لمنظور بن مرثد الأسدى ، وأبياتها مذكور بعضها فى كتب النحو . انظر سيبويه ١ : ٣٠٢ ، والمنصف ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وغيرهما . وكذلك انظر الأرجوزة فى نوادر أبى زيد : ٥٧٠ ، ٥٧١ .

هذا ومن المعلوم لدينا أن جميع أبيات الأرجوزة تعد شواهد نحوية استشهد بها النحاة فى مواضعها كما أشرت إلى ذلك فى الهامش .

أثر المعنى فى توجيه الشاهد النحوى :

أورد السيوطى فى شرح أبيات مغنى اللبيب قول رؤبة فى مدح أبى العباس السفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية قال :

بل بلد ملء الفجاج قتمه[1] لا يشترى كتانه وجهرمه[2]

والشاهد فيه : أن أبا على أوله فى كتابه (المسائل البصرية) بتقدير مضاف قال : أى : ونسج جهرمة .

وقال أيضاً فى (الإيضاح) جهرم هنا : جمع جهرمى ، وأضيف إلى الضمير.

وقال شارح شواهد الإيضاح : أنشده على أن (جهرمة) يصلح أن يحل محل الأول ، وهو (كتانة) وأن يكون على حذف مضاف ، أى : وبسط جهرم . والجهرمية : بسط شعر ، تنسب إلى جهرمة ، وهى قرية بفارس فيكون (جهرم) جمعا ، وكذلك أضيف .

قال أبو حاتم والزيادى : الجهرم : البساط من الشعر ، والجمع : جهارم . ولا شاهد فيه على هذا[3] .

ومما ذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى قول أبى ذؤيب :

نهيتك عن طلابك أم عمرو بعاقبة وأنت إذ صحيح
وقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة وهى الطروح

(١) الفجاج : جمع فج . وهو الطريق الواسع ، والقتم : الغبار .
(٢) الرجز لرؤبة وهو فى المقتصد ٨٣٦/٢ والتكملة ٣٦٣ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٤٦٩/١ الجزء الأول .
(٣) شرح شواهد مغنى اللبيب ٣ : ٦ .

والشاهد فى قوله : « إذ » حيث استشهد به الأخفش على أن « إذ » معربة لعدم إضافة زمان إليها ، وقد أجيب : بأن الأصل ، وأنت حينئذ ، ثم حذف المضاف وبقى الجر .

قوله : « وقلت تجنبن .. إلخ » قال المرزوقى : روى لنا عن الدريدى عن أبى يزيد عن الزيادى : (شلة) - بضم الشين - قال : وكذا قرأته بخط ذى الرمة ، وكذا رواه الباهلى أيضاً ، وروى « شلة » - بفتح الشين - وهما جميعا من الشل ، وهو الطرد ، كأنه يعدد ما كان يحذره منه ، ويعرفه أن نتائجه كان عالما بها . فلها ما كان ينفره[1]

وقال الزيادى : كان زيد بن كثوة العنبرى يقول : الناس يغلطون فى لفظ هذا البيت ومعناه ، وإنما هو كر كلامين على نابل ، أى : نطعن طعنتين متواليتين لا نفصل بينهما كما نقول للرامى : ارم ارم ، فهذان كلامان لا نفصل بينهما شيء بهما الطعنتين فى موالاته بينهما ، وكان يستحسن هذا المعنى[2] .

ومعلوم أن زيد بن كثوة العنبرى هو أحد أساتذة الزيادى ، فلا غرو أن يهتدى بقوله فى توجيه معنى الشاهد .

ومن ثم نعلم أن توجيه المعنى فى الشاهد النحوى يكون له أثره فى تخريجه وتوجيهه والزيادى من النحاة الذين جمع الله فيهم بين الذوق اللغوى والتقنين النحوى مما يجعله من أقدر النحاة على توجيه الشاهد النحوى ؛ لأن اشتغاله بعلم اللغة والرواية ربى عنده ملكة الفهم الدقيق ، والذوق الرفيع المنضبط بقواعد النحو وأصوله .

---

(١) شرح شواهد مغنى اللبيب ٢ : ٢٠٣ .
(٢) تأويل مشكل القرآن : ٩٦ .

وبعد ، فهذه لمحات وإشارات عن بعض آراء الزيادى النحوية التى كان لها عظيم الأثر فى تأسيس قواعد النحو وأصوله ، والتى أفصحت عن مكانته العلمية بين نحاة البصرة والكوفة وبغداد ، الأمر الذى دفع كثيراً من متأخرى النحاة أن يهتموا بآرائه ويعدوها مذهبا من المذاهب التأسيسية لعلم النحو ، حتى اشتهر بينهم وظل اسمه يتناقله الخلف عن السلف إلى هذا العصر الذى ندرس فيه هذا البحث ، وبذلك نستطيع القول : بأن الزيادى نحوى بصرى متقدم من الرعيل الأول .

ـ نفعنا الله بعلمه ورحمه الله رحمة واسعة ـ

الفصل الثالث

أثره فى الدراسات اللغوية

إن الأمر الذى لا مرية فيه أن علم اللغة العربية يعد من الدين ، لأنه من فروض الكفايات ، وبه نعرف معانى ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ومن ثم يجب على الراوى النحوى فى الأخذ عن الثقات لقول النبى ﷺ « إن العلم دين فانظر عمن تأخذون دينكم »[1] .

ومما أخرجه أبو بكر بن الأنبارى فى كتاب الوقف والابتداء بسنده عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال : « لا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة »[1] .

وأخرج أبو بكر فى كتابه المذكور آنفا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال :

« إذا سألتم عن شىء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب »[1] .

من أجل ذلك اهتم السيوطى فى كتابه (المزهر) بالكلام على (معرفة آداب اللغوى) فأوجب عليه ما يلى[2] :

١ — الدءوب والملازمة فيهما يدرك بغيته .

٢ — الكتابة والقيد — فكل ما يراه ويسمعه لابد من كتابته ؛ لأن ذلك أضبط له ، فى الحديث : « قيدوا العلم بالكتابة » .

---

(١) المزهر للسيوطى ٣ : ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ٣٠٣ - ٣٣٠ بتصرف .

٣ ـ الرحلة ، ذلك لأن الرحلة فى طلب العلم فيها فوائد وغرائب ينتفع بها العلماء وطلاب العلم ، وهذا ما دأب عليه الأئمة من سلفنا الصالح .

٤ ـ حفظ الشعر لما فيه من الحكم والمواعظ والآداب ، وبه يستعان على تفسير القرآن الكريم والحديث ، وما نراه فى كتب التفسير والحديث خير دليل على ذلك .. والاحاديث فى الحث على ذلك كثيرة .

٥ ـ التثبت فى الرواية ؛ ذلك لأن الرواية عن العلماء أمانة ، فيجب على الراوى أن يتثبت من روايته عن غيره ، شعراً كان أو ألفاظاً لغوية ، وذلك طريق تذوق ما فيها من المعانى واللطائف .

٦ ـ الرفق بمن يؤخذ عنهم حتى لا يمل الشيخ من تلميذه .

٧ ـ عزو الرواية إلى قائلها ، وذلك تركا بالقائل ، والتزاما بالأمانة العلمية ، إلى غير ذلك من الآداب التى يجب أن يتحلى بها الراوى عن غيره .

وشيخنا الزيادى يعد من الرواة الثقات الذين أخذوا اللغة ورواية الشعر عن أئمتها الأفذاذ أمثال : الأصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد .. وغيرهم ، الأمر الذى دفع السيوطى إلى وضعه فى طبقات الحفاظ والثقات من النحاة واللغويين ، فبعد أن ذكر أبا زيد الأنصارى ، وأبا عبيدة ، والأصمعى ، وحماد الراوية ، وسيبويه والكسائى ، والتوزى ، والجرمازى ، والجرمى وغيرهم من الرعيل الأول ، ذكر بعدهم الزيادى ، ثم قال :

وكان دون هؤلاء فى السن أبو إسحق إبراهيم الزيادى ، وأبو عثمان بكر ابن محمد المازنى ، وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى ، وأبو حاتم السجستانى ، وكان التوجى أطلع القوم ، وأعلمهم بالنحو بعد الجرمى والمازنى[1] .

---

(١) المصدر السابق ٢ : ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

كما اهتم السيوطى بوضعه بين من نسب إلى جده[1] .

من هذا نرى كيف وضع الزيادى بين الثقات من النحاة واللغويين ، فلو لم يكن له مكانة بعلمه وحسن أدائه فى النحو وروايته فى اللغة والشعر لما وضع بين هؤلاء الأئمة الفحول فى اللغة والنحو .

ويؤكد هذا ما وقفنا عليه من روايات فى اللغة والشعر مبثوثة فى كثير من كتب اللغة ، ولا شك أن هذه الروايات تقدم خدمات جليلة فى محيط الشاهد النحوى ، من حيث الضبط والتوثق من روايته ونسبته .

هذا ولا أكاد أحصى ما روى ونقل عن الزيادى من هذا اللون ، ولكن حسبى أن أذكر جانباً منها على سبيل التمثيل لا الحصر ، لإبراز جهود شيخنا الزيادى فى هذا المجال ، وبخاصة فى كتب بعض المعاصرين له كالمبرد ، وأبى على القالى ، وابن قتيبة ، وأبى زيد الأنصارى ، وابن فارس .

ثقة المبرد فى الرواية عن شيخه الزيادى :

قال أبو العباس المبرد : إن هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادى ، وذكر أنه كان يستحسنها ، وهى لأعرابى . قال :

ما لعينى كحلت بالسهاد ... ولجنبى نابياً عن وسادى
ما أذوق النوم إلا غرارا ... مثل حسو الطير ماء الثماد
أبتغى إصلاح سعدى بجهدى ... وهى تسعى جهدها فى فسادى
فتتاركنا على غير شىء ... ربما أفسد طول التمادى[2]

قال أبو العباس : وأنشدنى الزيادى ، قال : أنشدنى أبو زيد ، قال : نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهى عجوز ، فقال :

(١) المصدر السابق ٢ : ٤٤٥ .
(٢) الكامل للمبرد : ١ : ٤٠

عجوز ترجى أن تكون فتيـــة
وقد لحب الجنبان واحد ودب الظهر

تدس إلى العطار سلعة بيتهـــا
وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[1]

وفى موضع آخر : يقال : زففت السرير ، وزففت العروس ، وحدثنى أبو عثمان المازنى ، قال : حدثنى الزيادى قال : سمعت قوماً من العرب يقولون :

أزففت العروس ، وهى لغة[2] .

ويقول أبو العباس : وحدثنى الزيادى إبراهيم بن سفيان بن سليمان ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد ، قال :

تحدث رجل من الأعراب ، قال : نزلت برجل من طيء فنحر لى ناقة فأكلت منها ، فلما كان الغد نحر أخرى فقلت : إن عندك من اللحم ما يغنى ويكفى فقال : إنى والله لا أطعم ضيفى إلا لحما عبيطا ، قال : وفعل ذلك فى اليوم الثالث .. إلخ[3] .

ويقول أبو العباس : وحدثنى الزيادى قال : سمعت الأصمعى ، وسئل بحضرتى ، أو سألته عن قوله : (أشراطية) فقال : باسته واست عرسه ، وذاك أن الأصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء ، لقول رسول الله ﷺ « إذا ذكرت النجوم فأمسكوا » .. إلخ[4] .

---

(١) المصدر السابق ١ : ٣١٢ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٣١٨ .
(٣) انظر النص كاملا فى المصدر السابق ١ : ٣٤٤ - ٣٤٦ .
(٤) انظر النص كاملا فى المصدر السابق ٣ : ٣٦ ، ٣٧ .

أبو على القالى يوثق الرواية عن الزيادى :

يقول أبو على القالى فى أماليه : وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر مستملى أبى العباس المبرد ، وحدثنا الأخفش ، وابن السراج ، وغير واحد من أصحاب المبرد قالوا كلهم : أنشدنا أبو العباس . قال : أنشدنا الزيادى لأعرابى هذه الأبيات ، وكان يستحسنها وهذه الأبيات سبق إنشادها فى الموضع الأول من روايات المبرد[1] .

ويقول أبو على القالى : وحدثنى عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى قال : حدثنا : ابن جوان صاحب الزيادى قال : قال ابن محلم : كنت آتى عبد الله بن طاهر فى كل سنة ، وكانت صلتى عنده خمسة آلاف درهم ، فأتيته آخر ما أتيته فشكوت إليه ضعفى ثم أنشدته :

أفى كل عام غربة ونزوح ... أما للنوى من وقية فتريح[2]

ويقول القالى : وحدثنا أبو بكر بن الأنبارى ـ رحمه الله ـ قال : حدثنى أبى عن أحمد بن عبيد عن الزيادى عن المطلب بن عبد المطلب ابن أبى وداعة عن جده . قال : رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأبا بكر ـ رضى الله عنه ـ عند باب بنى شيبة فر رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقتار[3]

---

(١) الأمالى لأبى على القالى ١ : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) انظر خمسة أبيات بعد هذا البيت ، وباقى النص فى الأمالى لأبى على القالى ١ : ١٣٠ .

(٣) انظر باقى النص فى المصدر السابق ١ : ٤١ ، ٤٢ .

وقد صوب الإمام اللغوى أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكر فى كتابه (التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه) صوب ما نقله أبو على عن المطلب بن أبى وداعة قال : هذا مما التبس على أبى على - رحمه الله - حفظه ، فإنما أراد كثير بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة ، ولا يعلم المطلب ابن أبى وداعة ، ابن يسمى المطلب ... إلخ[1] .

وهذا يدل على دقة وأمانة الرواة عند النقل .

ويقول القالى : وأنشدنى أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى .

قال : أنشدنى عبد الله بن جوان صاحب الزيادى ، ولم يسم قائلها ، وأملاها علينا أبو سعيد السكرى لأبى العتاهية فى بعض إخوانه ، وهذه الأبيات عبارة عن تسعة عشر بيتاً أولها :

وقد كنت أغدو إلى قصره فقد صرت أغدو إلى قبره

وآخرها :

فلا يبعدن أخى ثاويا فكل سيمضى على إثره[2]

من نوادر الزيادى فى عيون الأخبار لابن قتيبة :

قال الزيادى : مر أسعب برجل يعمل طبقا ، وقال له : زد فيه طوقا ، قال : ولم ؟ قال : لعله يهدى لى فيه شىء[3] .

---

(١) انظر التصويب فى التنبيه على أوهام أبى على : ٧٣ - ٧٦ .

(٢) انظر الأبيات فى الأمالى ١ : ٢٧٦ .

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٥٧ .

يقول ابن قتيبة : بلغنى عن الزيادى قال : كنت مثناثا ـ أى : الذى يلد الإناث كثيراً ـ فقيل لى : استغفر إذا جامعت ، فولد لى بضعة عشر ذكراً[1] .

ما رواه ابن قتيبة عن شيخه الزيادى :

قال أبو ذئيب :

وسود من الصيدان فيها مذانب نضار إذا لم نستفدها نعارها

قال الأصمعى : أظنه أراد بالصيدان : الصاد والصاد ، يكون للصخر والحجارة ، هذه رواية الزيادى عنه[2] .

قال رؤبة :

ما كان تجبير اليمانى البراد يرجو وإن داخل كل وصاد

نسجى ونسجى بجرهد الجداد

الزيادى : يقال : وصد الوشى إذا بالغ فيه ، والجداد : الهدب ، فظن رؤبة أنه من عمل النساج ، فقال : بجرهد الجداد ، والجرهد : السريع الماضى[3] .

ذكر ابن قتيبة فى باب الرمح قال : حدثت عن إبراهيم بن أبى حبيب أن أبا إسحق الزيادى قال : سمعت زيد بن كثوة يقول فى قول امرىء القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة كر كلامين على نابل

---

(١) المصدر السابق ٣ : ١٢٣ .

(٢) المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة : ٣٦٥ .

(٣) المصدر السابق : ٧١٤ .

قال : وهو بمعنى قول القائل للرامى : ارم أرم ، يريد أنه يطعن طعنتين يتابع بينهما كما يتابع القائل هاتين الكلمتين ، قال : وكان الزيادى يستحسن هذا التفسير[1] .

قال ابن قتيبة : أنشد الزيادى لخداش بن زهير :

بين الأراك وبين النخل تسدحهم زرق الأسنة فى أطرافها شمم

يريد أنها مسمومة ، والسم بارد ، تسدحهم : تصرعهم[2] .

ما رواه أبو زيد الأنصارى فى نوادره عن الزيادى :

ذكر أبو زيد الأنصارى فى توضيح عبارة (مسيخ مليخ) أن المليخ : هو اللزج السهل على اللهوات والحلق ، ويقال : بكرة ملوخ : إذا كانت سريعة المر سهلته ، وشبهه بلحم الحمار ، لأنهم زعموا أنه لا طعم له .

وقوله : (لا أنت حلو ولا أنت مر) يريد أنه لا خير ولا شر عندك .

وقوله : (كأنك ذاك الذى فى الضروع) يريد اللبن الفاسد .

أخبرنا أبو العباس المبرد عن الزيادى عن الأصمعى أن الشاة والناقة تبرك على ندى فيخرج اللبن كقطع الأوتار أحمر ، فيقال لذلك الداء : النغر والمغفر ، الميم بدل من النون لمقاربتها لها فى المخرج .

يقال : أنغرت وأمغرت ، وشاة منغرة ، ومغرة ، فإذا كان ذلك من عاداتها فهى منغار ومغار ، والمصدر : الإنغار والإمغار ، والاسم النغر والمغر ، فإذا أصابها هذا الداء كانت أول حلبة للأرض .

قال أبو العباس : وهذا المعنى استخرجه الزيادى من قول الأصمعى الذى ذكرت لك[3] .

---

(١) المصدر السابق : ١٠٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ١٠٩٢ .

(٣) النوادر فى اللغة ٢٩١ ، ٢٩٢ .

قال أبوزيد : وقال رجل هلالى : (رضع الحوار يرضع رضعاً ورضاعاً) .

قال أبو الحسن : قال الأصمعى : رضع يرضع ـ بفتح الضاد فى الماضى والمضارع ـ ورضع يرضع ـ بكسر الضاد فى المضارع ـ .

وأخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد عن الزيادى عن الأصمعى أن العرب لا تقول إلا (الرضاع) ـ بكسر الراء ـ فإذا أدخلوا الهاء فتحوها لا غير ، فقالوا : الرضاعة ، وقد حكى الفتح إذا لم تكن الهاء غير الأصمعى[1] .

الزيادى فى مقاييس اللغة :

قال ابن الأعرابى : (وجل بحر إذا أصابه سلال) قال :

(وغلبتى منهم سحير وبحر)[2]

ذكر ابن فارس آراء بعض اللغويين فى (البحر) ثم ذكر قول الزيادى فقال : قال الزيادى : البحر : اصفرار اللون ، والسحير : الذى يشتكى سحره[3] .

وبعد . . فهذه نماذج مما ذكره أئمة النحاة واللغويين عن الزيادى يتبين منها موقع الزيادى بين أئمة اللغة الأول ، وإلى أى مدى كانت ثقتهم فى روايته عن مشايخه كالأصمعى وغيره ، وهم من هم الرواة عن الزيادى ؟ إنهم (محمد بن يزيد المبرد ، وأبو على القالى ، وابن قتيبة ، وأبو زيد الأنصارى ، وابن فارس . . وغيرهم) ممن جمعوا اللغة سماعاً عن أهلها ، ووثقوا رواياتها ، عن الزيادى وغيره ، حتى عد الزيادى بينهم من الثقات فى السند الصحيح ،

---

(١) المصدر السابق : ٦٠١ .

(٢) نسب ابن منظور البيت للدجاج (سحر وبحر) وبعده (وآبق من جذب ولو بها هجر) وليس فى ديوانه ولا ملحقات ديوانه .

(٣) انظر مقاييس اللغة ١ : ٢٠٢ .

وروايتهم عنه إما سماعا ، أو نقلا عن ثقات عنه الأمر الذى جعلنا نعد الزيادى من أئمة اللغة ورواتها .

هذا ، وتعد روايته فى اللغة والشعر من أعظم الخدمات التى قدمها علم النحو ، وبخاصة فى بداية عصره وتقنينه ؛ لأن القواعد النحوية قامت على عمد الشواهد من الشعر ، والأساليب العربية ، فما من تركيب نحوى إلا ولبناته من النتاج اللغوى .

ومن ثم نستطيع القول : بأن ما أورده الزيادى من الشعر والأساليب العربية بروايته الصحيحة عن اللغويين والشعراء كلها تعد شواهد نحوية وإن المستعرض لها يجدها لا تخرج عن هذا المحيط ، وهو بذلك لم يخرج عن دائرة خدمة القواعد النحوية ؛ لأن النحوى فى ذلك العصر كان من الضرورى له أن يتسلح برواية اللغة ، وتذوق الشعر ، ليتمكن من صياغة وضبط قواعد النحو على أساس صحيح من لغة العرب .

الفصل الرابع

شعر الزيادى

إن الأمر الذى لامرية فيه أن من لهم رواية بلغة العرب وشعرهم ، وبخاصة ممن وثق القوم بروايتهم ، لهم باع طويل فى هذا الميدان ، ولاشك أن ذوقهم رفيع ، وملكتهم حاضرة فإنشادهم شعراً ليس بالأمر الغريب فيهم ، فهم أهل لهذا الفن ، وهم فرسان حلبته .

وشيخنا الزيادى من بين أولئك الذين تشبعت عقولهم برواية الشعر واللغة ، فشغ عقله فى النحو ، وقد تأسست قواعده وأصوله فى عقله على أساس صحيح من اللغة الفصيحة والشعر ، فلاغرو أن يكون له باع طويل ، ولسان فصيح فى إنشاد الشعر .

هذا ، وإن لم يصلنا من شعره إلا لمحات إلا أنها تفصح عن ذوقه فى إنشاد الشعر ، ولعل السبب فى عدم كثرة شعره هو ضياع مؤلفاته التى لم نقف على واحد منها ففقدانها كان سببا فى فقدان خير كثير من مواهب الزيادى .

وها أنذا أذكر جانبا من شعره الذى وقفت عليه .

حدث المرزبانى قال : كان الزيادى يشبه بالأصمعى فى معرفته الشعر ومعانيه وكان فيه دعابة ومزاح ، فمن شعره فى ذلك :

قد خرج الهجر على الوصل ... وانقطع الحبل من الحبل
ودبق[1] الهجر جناح الهوى ... وانفلت الوصل من البخل

---

(١) الدبق : شىء يلتصق كالغراء ، تصاد به الطير ، يريد أن طائر الهوى عجز عن النهوض لأن جناحه دبق .

فليت ذا الهجر قبل الهوى فيسلم الوصل من القتل[1]

ومن شعره الذى رواه المرزبانى فى حجر النار الهاشمى :

دفع الرحمن عنكم إذ ذاك الدفع عنى
وأتى فيك بمن بعذانى قارع سنى
تكن برزت فى الحسن فقد برز خرنى[2]

وقال إبراهيم الزيادى فى جارية سوداء كان يحبها :

ألا حبذا حبذا حبذا حبيب تحملت فيه الأذى
ويا حبذا برد أنيابه إذا الليل أظلم واجلوذا[3]

وقال الجاز يهجو الزيادى :

ليس بكذاب ولا آثم من قال إبراهيم ملعون
حكم رسول الله فى جده ما ناله إلا الملاعين
وبعد هذا كله إنه يعجبه القشاء والتين[4]

وأنشد الزيادى :

ماذا لها هبلت فى أن تخرقنى بيض مطارد قد زين بالعقب

وصف سهاما ، الواحد مطرد[5] .

---

(١) معجم الأدباء ١ : ١٦٠ والوافى بالوفيات ٥ : ٣٥٦ .
(٢) معجم الأدباء ١ : ١٥٩ .
(٣) المصدر السابق ١ : ١٦١ والوافى بالوفيات ٥ : ٣٥٦ .
(٤) المصدران السابقان ١ : ١٦٠ - ٥ : ٣٥٦ .
(٥) المعانى الكبير لابن قتيبة : ١٠٦٤ .

وأنشد الزيادى :

(لثمـــك ذو رزين مصقول)

اللثم : الصلح ، يريد : أن صلحك إنما هو سيف مصقول[1] .

هذا ما وصلنا من شعره ، وما قيل فيه من هجاء ، وفيه دليل على أنه كان عاشقا للشعر ، وله لسان فيه ، وذوق لمعانيه ، كما أن هجاء بعض الشعراء له دليل آخر على أنه كان له وجود فى مصاف الشعراء ، وإن لم يكن قد وقفنا إلا على هذه القبسات من شعره ، فذلك لا يمنع أن يكون له شعر كثير ، ولكنه قد اندثر مع مصنفاته التى لم نعثر على شىء منها .

رحم الله شيخنا الزيادى وجميع علماء المسلمين
ونفعنا الله بعلمهم وتقبله منـــا آمين

---

(١) المصدر السابق : ١٠٨٨ .

الخـــاتمة

يعد أبو إسحق الزبادى المتوفى سنة ٣٤٩ هـ من نحاة البصرة المتقدمين الذين ذكر عنهم أصحاب كتب التراجم إشارات قصيرة ، وقد طويت مصنفاتهم تحت ستار الزمن ، فلم يصلنا منها إلا أسماؤها ، وبعض آرائهم النحوية ، وجهودهم اللغوية المبثوثة فى مصنفات النحو واللغة .

ومن فضل الله تعالى أن وفقنى فى كتابة هذا البحث الذى وضعت فيه الزبادى أمام مرآة عاكسة ، كشفت لنا صورة واضحة عن حياته ، وجهوده العلمية عامة والنحو واللغة خاصة ، وقد خلصت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية :

أولا : أبو إسحق الزبادى النحوى ، اللغوى ، الراوية ، البصرى ، أخذ النحو عن سيبويه ، وقرأ عليه الكتاب ولم يتمه ، إما لمرض ، أو سفر ، أو لظروف أيا كانت أحالت بينه وبين إتمام قراءته ، فهو بذلك يعد من النحاة الأول . نشأ فى البصرة حيث بيئة النحو والنحاة ، الأمر الذى ساعده على النبوغ فى اللغة وروايتها ، حتى عد عند المتقدمين والمتأخرين من الرواة الثقات ، وذلك لأنه تتلمذ على أعلام اللغة كأبى عبيدة ، وأبى زيد الأنصارى ، والأصمعى وغيرهم . وهو بهذا الجهد فى اللغة ، قد قدم الشواهد والأساليب العربية التى ساعدت النحاة على تقنين قواعد النحو وأصوله . كما ثبت أن له شعراً وإن كان قليلا إلا أن العلماء قالوا عنه : إنه كان يشبه بالأصمعى فى معرفته الشعر ومعانيه ، ومن أبرز تلاميذه (أبو العباس المبرد ، وابن قتيبة وأبو على القالى) .

ثانياً : يعد الزبادى من أصحاب الآراء والمذاهب المعتد بها فى تقنين القواعد النحوية وتوجيهها ، فهو صاحب رأى بين فحول النحو وأئمته الأول

كالخليل ، وسيبويه ، والأخفش ، وعلى بن عيسى الربعى ، والزجاج ، والزجاجى ، وقطرب والمبرد ، والمازنى والجرمى ، وابن السراج ، والكسائى ، والفراء ، وأبى على الفارسى ، وابن جنى ، وغيرهم ممن لهم باع طويل ، وقدم راسخة فى وضع قواعد النحو وأصوله

ثالثاً : اعتد المتأخرون من النحاة برأيه ، وعدوه مذهبا فى بعض القضايا والمسائل النحوية ، فأثبتوه فى كتبهم ، واشتهر بينهم ، مثال ذلك :

مذهبه فى إعراب الأسماء الستة حيث قال : إن هذه الحروف هى أنفسها إعراب ، أى أنه يرى أنها تعرب بالعلامات الفرعية ، وهى الواو رفعا ، والألف نصبا ، والياء جرا ، وهذا هو المذهب الذى اشتهر وجرى عليه كثير من النحاة المتقدمين والمتأخرين حتى قال عنه ابن مالك : (وهذا أسهل المذاهب وأبعدها عن التكليف ، فهو صاحب مذهب منفرد ، وقد وافقه كثير من المعاصرين له ، ومن أتوا بعده من متقدمى النحاة البصريين والكوفيين .

كما أنه يعد صاحب مذهب أو رأى فى المسائل الآتية :

١ — يرى أن دخول الفاء فى قولهم : « خرجت فإذا زيد » على حد دخولها فى جواب الشرط .

٢ — جوز التفريق بين اسم الإشارة ونعته المختلف ، واشترط أن يعرب النعت بدلا أو عطف بيان ، ووجه ذلك على أن البيان يشبه الصفة ، وذلك فى نحو قولهم : « مررت بهذين الطويل والقصير » .

٣ — منع إعمال « فعيل ، وفعل » من صيغ المبالغة .

٤ — ذكر أربعين لغة فى اسم الفعل « آف » .

٥ — جوز جزم الفعل الذى جاء غير ماض مع « من ، وما ، وأى »

مخالفا بذلك ما قرره بعض النحاة من وجود حكم « الذى » لها فى السعة ، ووجوب رفع الفعل فيهن ، والمجىء بالعائد ، وكون الجملة لا محل لها من الإعراب.

٦ - يرى أن الضمير المجرور إذا أكد بضمير جاز العطف عليه بدون إعادة الخافض نحو : « مررت بك أنت وزيد » وإن لم يؤكد امتنع .

٧ - يرى ضعف العامل المقدر مع البدل .

٨ - يقول برد المحذوف من الكلمة فى جمع التكسير .

٩ - وافق الأخفش والفراء فى حذف الهمزة من « أشياء » التى أصلها « أشئياء » وقرر منع صرفها .

رابعاً : اشترك فى الرأى ، ووافقه بعض النحاة فيما قرره ، كأبى الحسن الأخفش فى توجيه القول فى عامل البدل فى نحو قولهم : « مررت برجل قائم زيد أبوه » .

- كما وافقه قطرب والزجاجى فى إعراب الأسماء الستة .

- وموافقته سيبويه فى عدم التفريق بين اسم الإشارة ونعته ، ثم انفراده برأى له فى ذلك .

- واتفاقه مع الأخفش والفراء فى اعتبار « أشئياء » كأنبياء ، وهى غير مصروفة واعتبارهم حذف الهمزة منها فصارت « أشياء » .

- وكذلك اشتراكه مع أكثر البصريين فى عدم إعمال « فعيل وفعل » من صيغ المبالغة .. وغير ذلك من الآراء والتوجيهات المدونة فى هذا البحث.

خامساً : وافق سيبويه فى بعض المسائل ، وخالفه فى أخرى كما ذكرنا فى حكم إعراب الأسماء الستة وغيرها ، وكأشياء . . مما يدل على اعتزازه بشخصيته العلمية ، ونبوغ عقله وذوقه لقواعد النحو واللغة . . والمستعرض لآثاره

النحوية فى الفصل الثالث من هذا البحث يقف على هذه الحقيقة ، وإذا وقع ذلك مع شيخه وأستاذه ، فلا غرو عندما نجد ذلك فى كثير من المسائل مع أعلام النحو الأول .

سادساً : اهتمام النحاة المتقدمين برأيه ، وتأثر المتأخرين به ، والنقل عنه ، والاعتداد برأيه ، يدل ذلك على طول باعه ، وعمق فكره فى النحو ، فنقل عنه كثير من المتقدمين والمتأخرين من النحاة . منهم :

١ — ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » .

٢ — على بن سليمان الحيدرة اليمنى فى كتابه « كشف المشكل فى النحو » .

٣ — ابن جنى فى كتابه « الخصائص » .

٤ — محمد بن أبى بكر الدماميني فى كتابه « تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد » .

٥ — ابن مالك فى كتابه « التسهيل » .

٦ — المرادى فى كتابه « توضيح المقاصد » .

٧ — أبو حيان فى كتبه « تذكرة النحاة » و « ارتشاف الضرب » ، « والتذييل والتكميل » .

٨ — الزنجانى فى كتابه « الكافى شرح الهادى » .

٩ — ابن هشام فى كتابه « مغنى اللبيب » .

١٠ — الأشمونى فى كتابه « شرح الأشمونى » .

١١ — السيوطى فى كتابيه « همع الهوامع » و « شرح شواهد المغنى » .

١٢ — أبو البركات الأنبارى فى كتابه « أسرار العربية » .

١٣ – الشيخ / عبد الخالق محمد عضيمة فى كتابه « دراسات لأسلوب القرآن الكريم » .

سابعاً : يعد الزيادى من النحاة المعتدلين ، فهو لم يغال فى رأيه ، ولم يخالف أستاذه سيبويه وغيره لهوى فى نفسه ، ولم يوافق بعض معاصريه ليعرف بينهم ، ولكن كانت مخالفته وموافقته عن علم وبصيرة بهذا الفن ، ذلك ؛ لأن العصر الذى نشأ فيه كان عصر المناظرات والتسابق فى العلم ، ولم يثبت أن أحداً من معاصريه ، أو المتأخرين عنه سفه رأيه ، أو هاجمه ، اللهم إلا تضعيف بعض آرائه مع التوجيه كعادة النحاة ، وكل ما لاحظته أن رأيه بينهم معتد به ، فهو جدير بالذكر بين طبقات النحاة الأول .

ثامناً : لم تتوقف ثقافة الزيادى عند قواعد النحو وأصوله . . ولكن نرى له مكاناً مرموقاً بين رواة اللغة وأئمتها ، فقد كان لغويا ، راوية ثقة بين أساتذته ونظرائه فى اللغة ، فوثق فى روايته المتأخرون عنه ، حيث نقل وروى عنه كثير من أئمة اللغة أمثال :

١ – المبرد فى كتابه « الكامل » .

٢ – ابن قتيبة فى كتابه « عيون الأخبار » .

٣ – أبو على القالى فى كتابه « الأمالى » .

٤ – أبو زيد الأنصارى فى كتابه « النوادر » . . وغيرهم .

الأمر الذى جعله يتمتع بسمعة طيبة بين فحول اللغة ، ذلك لأن عمله فى محيط اللغة ساعده على خدمة القواعد النحوية ، والفصل الثالث فى هذا البحث يفصح عن هذه الحقيقة .

هذا ، ويجب ألا نغفل جهوده فى الشعر ، فقد كان له شعر ، فلا غرو ، فاللغوى ذواقة فى الشعر ومعانيه .

وبعد . . فهذه إشارات ذكرتها فى ختام بحثى فى الزيادى جعلتها بمثابة مشاعل تبرق إشارات خضراء يستنير بها النحاة واللغويون .

راجيا رب العزة سبحانه وتعالى أن يتقبلها منى من باب وفاء التلميذ لأستاذه .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى صراطه المستقيم

موارد البحث

١ — أخبار النحويين البصريين ـ للسيرافى ـ ط . المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٣٦ م .

٢ — ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى — ت . د / مصطفى أحمد النماس — الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م .

٣ — إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموى ط . دار المأمون .

٤ — أسرار العربية — أبو البركات الأنبارى — تحقيق / محمد بهجة البيطار ـ مطبوعات المجمع العربى بدمشق ـ مطبعة الترقى — دمشق ١٣٧٧هـ — ١٩٥٧ م .

٥ — الأعلام ـ للزركلى ـ الطبعة الثالثة

٦ — الأمالى — لأبى على القالى — الطبعة الثانية — مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤هـ — ١٩٢٦ م .

٧ — الأمالى الشجرية ـ لابن الشجرى ـ ط . دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان .

٨ — إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ للقفطى ـ تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط . دار الفكر العربى بالقاهرة .

٩ — إيضاح المكنون ـ لإسماعيل البغدادى ـ ط . استنبول ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م .

١٠ — بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ـ للسيوطى ـ تحقيق الأستاذ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط . عيسى البابى الحلبى ١٩٦٤ م .

١١ — تأويل مشكل القرآن ـ لابن قتيبة ـ شرح ونشر الأستاذ / السيد أحمد صقر ـ ط . المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

١٢ — تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجى زيدان ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ط . الثانية ١٩٧٨ م .

١٣ — تاريخ الأدب العربي ـ لكارل بروكلمان ـ ترجمة د / عبد الحليم النجار ـ نشر دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة .

١٤ — تذكرة النحاة ـ لأبي حيان الأندلسي ـ تحقيق د / عفيف عبد الرحمن نشر مؤسسة الرسالة ـ ط أولى ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .

١٥ — التذييل والتكميل ـ لأبي حيان ـ شرح كتاب التسهيل لابن مالك ـ الجزء الرابع ـ رسالة دكتوراه إعداد الدكتور / الشريفي إبراهيم أبو طالب — بمكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم (٢٢٢٤) .

١٦ — تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ـ لمحمد بن أبي بكر بن عمر بدرالدين الدماميني ـ رسالة دكتوراه ـ إعداد الدكتور / محمد السعيد عبد الله أحمد عامر ـ بمكتبة كلية اللغة العربية تحت رقم (١٥٦٠) .

١٧ — التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه ـ لأبي عبيد البكري ـ الطبعة الثانية ـ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م .

١٨ — توضيح المقاصد ـ للمرادي ـ تحقيق د / عبد الرحمن علي سليمان ـ الطبعه الثانية ـ مكتبة الكليات الأزهرية .

١٩ — الجامع لأحكام القرآن ـ للإمام القرطبي ـ ط دار الشعب .

٢٠ — الجنى الداني في حروف المعاني ـ للحسن بن قاسم المرادي ـ تحقيق د / فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

٢١ — حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ ط . عيسى البابي الحلبي .

٢٢ — خزانة الأدب ـ للبغدادي ـ تحقيق الأستاذ / عبد السلام محمد هارون ط . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

٢٣ ــ الخصائص ـ لابن جنى ـ تحقيق الأستاذ / محمد على النجار ـ ط . عالم الكتب ـ بيروت .

٢٤ ــ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ للشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة ط . أولى ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٣م مطبعة السعادة بالقاهرة .

٢٥ ــ شرح التصريح ـ للشيخ / خالد الأزهرى ـ وبهامشه حاشية ياسين ـ ط . المطبعة الأزهرية ـ مصر ـ الطبعة الثالثة ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥م .

٢٦ ــ شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ ط . عالم الكتب ـ بيروت ـ توزيع : مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٢٧ ــ الصحاح ـ للجوهرى ـ تحقيق الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطا ـ توزيع : دار إحياء التراث الإسلامى ـ دولة قطر .

٢٨ ــ ظهر الإسلام ـ للأستاذ / أحمد أمين ط . ونشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الخامسة .

٢٩ ــ عيون الأخبار ـ لابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ ـ ١٩٣٠ م .

٣٠ ــ الفريد فى إعراب القرآن المجيد ـ للمنتخب الهمذانى ـ تحقيق د / فهمى حسن النمر ـ ود / فؤاد على مخيمر ـ رسالة دكتوراه فى كلية اللغة العربية .

٣١ ــ الفهرست ـ لمحمد بن إسحاق النديم .

٣٢ ــ الكافى شرح الهادى ـ لأبى المعالى عبد الوهاب الزنجانى ـ تحقيق د / محمود فجال بن يوسف ـ رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية .

٣٣ ــ الكامل ـ للمبرد ـ تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل والسيد شحاته ، ط . دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة ـ بالقاهرة .

٣٤ ــ الكتاب ـ لسيبويه ـ تحقيق الأستاذ / عبد السلام محمد هارون ـ ط . الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٧ م .

٣٥ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - حاجى خليفة - ط . استانبول ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م .

٣٦ — كشف المشكل فى النحو - لعلى بن سليمان الحيدرة اليمنى - تحقيق د / هادى عطية مطر الهلالى - مطبعة الإرشاد - بغداد ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م .

٣٧ — المزهر فى علوم اللغة وأنواعها - للسيوطى - شرح وضبط وتصحيح وتعليق الأساتذة / محمد أحمد جاد المولى - وعلى محمد البيجاوى - ومحمد أبو الفضل إبراهيم - ط . عيسى البابى الحلبى .

٣٨ — مشكل إعراب القرآن - لمكى بن أبى طالب - تحقيق الأستاذ /ياسين محمد السواس - ط . مجمع اللغة العربية - دمشق .

٣٩ — المعانى الكبير فى أبيات المعانى - لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة طبع بمجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الركن الهندى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م الطبعة الأولى .

٤٠ — معجم الأدباء - لياقوت الحموى - ط . عيسى البابى الحلبى .

٤١ — مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق الأستاذ / محمد محيى الدين عبد الحميد - ط . محمد على صبيح .

٤٢ — مقاييس اللغة - لابن فارس - تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون - الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ — ١٩٨١م - نشر مكتبة الخانجى - مصر .

٤٣ — المقتضب - للمبرد - تحقيق الشيخ/محمد عبد الخالق عضيمة ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٩٩ هـ .

٤٤ — منار السالك إلى أوضح المسالك - محمد عبد العزيز النجار - مطبعة الفجالة الجديدة ١٩٥٣ م .

٤٥ — ناظر الجيش وأثره فى الدراسات النحوية مع تحقيق الجزء الأول من تمهيد القواعد - رسالة دكتوراه تحت رقم (٢٢١١) بكلية اللغة العربية - القاهرة - إعداد الدكتور / على محمد على فاخر .

٤٦ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ـ لابن الأنبارى ـ تحقيق الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط . دار النهضة بمصر ١٩٦٧م .

٤٧ — نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ـ محمد طنطاوى ـ ط . دار المعارف بمصر .

٤٨ — النوادر فى اللغة ـ أبو زيد الأنصارى ـ تحقيق د / محمد عبد القادر أحمد ـ الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م نشر دار الشروق ـ بيروت ـ لبنان .

٤٩ — همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ـ السيوطى ـ تحقيق د / عبد العال سالم مكرم ـ ط . دار البحوث العلمية ـ الكويت ـ الطبعة الأولى .

٥٠ — الوافى بالوفيات ـ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ـ اعتناء ـ س . ديد . رينخ ـ ط ونشر ـ دار فرانزشتايز ـ بفسبادن ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠ م ـ ط. دار صادر بيروت .

٥١ — وفيات الأعيان ـ لابن خلكان — تحقيق د / إحسان عباس — ط . دار صادر ـ بيروت .